مكتبة البحوث
قسم الدوريات

عدد خاص بمناسبة العيد العاشر لجامعة قطر

حولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مسموح بنسخه من المكتبة

العدد السابع
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

التنشئة الاجتماعية الأسرية
للطفل القطري

الأستاذ الدكتور
فاروق محمد العادلي
أستاذ بقسم الاجتماع

حول تعريف التنشئة الاجتماعية وأهمية موضوع البحث :

ترجع أهمية عملية التنشئة الاجتماعية إلى أن البناء الاجتماعي يهدف إلى تحقيق التوازن بين التأثيرات الثقافية وأساليب الضبط الاجتماعي لدى الأفراد أعضاء البناء ، وإلى إيجاد التوافق بين حاجات الشخصية ومطالب البناء الاجتماعي ، وإلى إيجاد نوع من السلوك يحقق رغبات الأفراد ويرضى عنه الآخرون . وينيب البناء عنه الوالدين منذ الميلاد لتنشئة الصغار تنشئة اجتماعية ، ولتكوين بيئة اجتماعية تحيل الطفل من كائن عضوي إلى كائن اجتماعي[1].

وعملية التنشئة هي عملية تعلم بالمعنى العام . وتهدف إلى إعداد الطفل ثم الصبي ، فالراشد للاندماج في أنساق البناء والتوافق مع المعايير الاجتماعية المقبولة ومطالب الأدوار الاجتماعية واكتساب قيم المجتمع . ومن هنا تدل التنشئة الاجتماعية على « العملية الكلية التي يُنمّي بها الفرد الذي يولد ولديه إمكانيات هائلة ومتنوعة ، سلوكاً فعلياً مقبولاً لديه ، ومعتاداً وفق معايير الجماعة التي ينتمي إليها »[2].

ويرى تالكوت بارسونز Talcott Parsons عالم الاجتماع الأمريكي الشهير أن التنشئة الاجتماعية هي عملية « تعلُّم » تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحُّد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد ، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية[٣]. والتنشئة عملية مستمرة تبدأ من الميلاد داخل الأسرة وتستمر في المدرسة ، وتتأثر بجماعات الرفاق ونسق المهنة . ومن ثم تستمر عملية التنشئة الاجتماعية باتساع دائرة أنساق التفاعل كلما كبر المرء . فالتنشئة الاجتماعية عملية تبغي تحقيق التكامل في مجموعة من أنساق التفاعل والتوحُّد مع العناصر الثقافية والاجتماعية . ويستخلص بارسونز من هذا أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة لا نهاية لها ، تعبّر عن نشاط البناء الاجتماعي . فالبناء الاجتماعي يضغط على الشخص لكي يتكيف مع الآخرين ، ويتعلَّم كل يوم شيئاً جديداً[٤].

ويستبين لنا من تفسير بارسونز لعملية التنشئة الاجتماعيةأن الوالدينأثناء تفاعلهما مع الطفل في المواقف المختلفة لا يقومان بأدوارهما الشخصية ، بل يؤديان أدواراً ينظمها المجتمع ، كما لا يحكم سلوكهما قيم شخصية ، بل يمثلان قيم المجتمع السائدة أثناء تفاعلهما مع الطفل . والموقف الذي تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية ، موقف مستقر منظم ، نظمه الأبوان حسب ثقافة المجتمع ، ويتقبَّله الطفل . وحصاد التفاعل الاجتماعي المستمر في مواقف التفاعل المنظمة ، وهو حصاد عملية التنشئة الاجتماعية ، شخصية تتوحَّد مع الأهداف الثقافية والمعايير الاجتماعية في المواقف المنظمة . ويذهب بارسونز إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة ، ولكنه يؤكد كما أكد عدد آخر من العلماء ، على أن سنوات الطفولة المبكرة (الست سنوات الأولى) هي أهم سنوات التنشئة في تكوين الشخصية ، لأن الطفل في هذه المرحلة لايعدو أن يكون عجينة خام ، تشكلها الأسرة حسب القيم وأشكال السلوك السائدة . كما أن العناصر المتعلَّمة في فترة الطفولة هي أكثر العناصر الاجتماعية المكتسبة استقراراً[٥].

ولا شك في أن الوظيفة الظاهرة Manifest function لعملية التنشئة الاجتماعية هي تدريب الطفل على أداء أنماط معينة من السلوك ، والتي يرضى عنها المجتمع ، ويتخذها الشخص دعامة لسلوكه طوال الحياة . أما وظيفتها الكامنة Latent function فهي توحُّد الطفل مع مجموعة من الأنماط الثقافية للمجتمع تعرف باسم (القيم الاجتماعية) التي يتكون منها البناء الأساسي للشخصية .

ويعرِّف قاموس الاجتماع (فيرتشيلد) القيم الاجتماعية بأنها « مواضيع Objects تتعلق بها النفس ، وتشعر بالحاجة إليها ، أو باستحسانها ، أو بضرورتها . وقد تكون هذه المواضيع حيَّة ، أو غير حيَّة ، مصنوعة أو غير مصنوعة . والمهم أنه يوجد اتفاق على أهميتها في المجتمع »[٦].

والقيمة الاجتماعية Social Value هي كل ما يستثير في مجتمع انساني اهتماماً عامًّا ، سواء كانت القيمة متمثلة في موضوع حسِّي ملموس ، أو في صفة معنوية مستحبَّة . ومن شأن القيمة الاجتماعية أن تسد حاجة اجتماعية حيوية ، أو ترضى اتجاهات نفسية عامة في عدد كبير من الأفراد . والشعور نحو القيمة والاهتمام بها يتصف بالديمومة وبالاستمرار النسبي . ويتمثل هذا الاهتمام في وجود قواعد سلوكية تبيِّن كيفية التعبير عن أهمية القيم ، مع وجود جزاءات[٧] Sanctions (مثوبات وعقوبات) الأولى لمن يحترم القيم والثانية لمن ينتهكها ، ووجود رموز اجتماعية يتم بها التعبير عن احترام هذه القيم واكتسابها[٨].

ويتضح من العرض السابق أهمية الموضوع الذي نتصدَّى لدراسته . وتنبع تلك الأهمية من خطورة دور التنشئة الاجتماعية كميكانيزم لنقل الثقافة وبقائها ، مما يؤكد ويبرز أهمية دراسة التنشئة الاجتماعية كجزء هام من ثقافة الجماعة الإنسانية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه لا يخفى ما للتنشئة الاجتماعية – وخصوصاً في نطاق الأسرة – على الشخصية ذاتها ، حيث تجعل الفرد يساير مطالب ثقافية محدَّدة، مما يؤدي في النهاية إلى مسايرة «لشخصية منوالية» تميز جماعة بعينها . وهكذا تكون الأسرة عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية مسئولة مسئولية شرعية عن تكوين الطابع القومي للشخصية . وبالتالي تكون دراسات التنشئة بما تحويه من ضرورة توحُّد الطفل مع قيم مجتمعه مقدمة لاستنتاج الخصائص العامة المميزة لنمط الشخصية السائد Predominant أو الأكثر شيوعاً في المجتمع . أي الذي يطلق عليه سوسيولوجيا مصطلح الشخصية الأساسية Basic personality ، أو الشخصية القومية National character إذا كان المقصود بذلك الشخصية الأساسية لشعب أو أمة . ويقترح عالم النفس كورا دي بوا Cora du Bois مصطلح الشخصية المنوالية[٩] Modal personality مستفيداً من المفهوم الإحصائي للمنوال ، على أساس أن الشخصيات الاجتماعية في مجتمع معين ، تكثر نماذجها المشتركة وتتلاقى في شخصيات عامة . وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا لهم منهجهم في هذا الصدد الذي يقوم على فهم الثقافة ككل ، والنظم الاجتماعية التي تحتويها ، ومنها يستخلصون أو بالأحرى يركِّبون Synthesize نمط

الشخصية الأساسية ، ثم يتحققون من وجود هذا النمط في الحياة الفعلية . وهنا يجدي كثيراً أن يتعاون علماء النفس والأنثروبولوجيا والاجتماع في دراسات التنشئة والقيم . وذلك ماتحقق بالفعل ، كما نجد على سبيل المثال من تعاون عالم الاجتماع والأنثروبولوجيا رالف لينتون Ralph Linton مع عالم النفس ابراهام كاردنر[١٠] Abraham Kardiner .

دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في نقل الثقافة وبقائها :

يمكن تعريف الثقافة بأنها أساليب السلوك النمطية التي يتعلمها المرء من خلال عضويته في جماعة اجتماعية . وهذه الأساليب السلوكية عبارة عن نظم وأنساق تسهل على الفرد عمليات التكيف العديدة مع مواقف الحياة المختلفة[١١].

تلعب الأسرة دوراً بارزاً من أجل نقل الثقافة والإبقاء عليها ، عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية . وتكمل الجماعات والمؤسسات الأخرى الرسمية وغير الرسمية وظيفة الأسرة في هذا الصدد . ولاشك أن الوظيفة الحقيقية للأسرة ذات طابع تربوي في المقام الأول بما تتضمنه من عمليات الترويض والتنشئة والصقل الاجتماعي لأفرادها . وتتمثل تلك الوظيفة في بناء وتكوين الشخصية الثقافية الاجتماعية للإنسان في إطار جماعة صغيرة ، تتميز علاوة على هذا بأن أفرادها تجمع بينهم مشاعر وأحاسيس شديدة الألفة والقوة . ويوضح لنا تراث الأنثروبولوجيا الثقافية بجلاء أن الإنسان لايستطيع أن يعيش بعد مولده أكثر من ساعات قليلة دون مساعدة الغير ، وذلك على خلاف أغلب الفقريات العليا التي التي تولد شبه « جاهزة » أو مستعدة للحياة معتمدة على نفسها دون مساعدة كبيرة من ذويها . ويقرر مالينوفسكي Malinowski بوضوح أنه « كلما ارتقى الحيوان في مدارج التطوُّر ، كلما زاد عجز الوليد الصغير وازدادت حاجته إلى رعاية وتدريب طويل من والديه »[١٢].

ويخضع البناء البيولوجي للإنسان إذن للظروف والاعتبارات الاجتماعية التي تصيغه وتكيفه . وهنا تبدأ الوظيفة الحقيقية لجماعة الأسرة ، والتي لم يكن هناك أي مؤسسة أو نظام آخر يستطيع أن يحققها ولا حتى بشكل جزئي ، خاصة في فجر الإنسانية .

ولهذا السبب ينتهي عالم الاجتماع الألماني الشهير « رينيه كونينج » René Köning إلى القول بأن الميلاد البيولوجي للفرد ليس هو الأمر الحاسم في وجود واستمراره ، وإنما العامل الحاسم هو

« الميلاد الثاني » أي تكونه كشخصية اجتماعية ثقافية ينتمي إلى مجتمع بعينه وتدين بثقافة بعينها . والأسرة بطبيعة الحال هي صاحبة الفضل في تحقيق هذا « الميلاد الثاني »[١٣] The Second birth

وتتم عملية تكوين وإعداد الشخصية الإنسانية للحياة في المجتمع على مرحلتين أساسيتين هما :

(أ) مرحلة التهيئة أو تنسيق القوى والاستعدادات البيولوجية والنفسية وغيرها ، بحيث يصبح الفرد مهيئاً لعملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي Socialization .

(ب) عملية التنشئة الاجتماعية ذاتها .

ومن العناصر الأساسية التي تقوم على تحقيقها مرحلة التهيئة للتنشئة الاجتماعية تنمية القدرات الأساسية – التي تكون في حالة كمون أو قصور عند الولادة . وكذلك بذر البذور الأولى لثقة الإنسان في نفسه وتكوين إيقاعات الحياة الأساسية التي يختلف شكلها اختلافاً بعيداً من ثقافة لأخرى (كالجوع ، والعمل ، والاسترخاء ، والنوم ، والعطش ، والأمن الجسمي والنفسي ... الخ) . وكذلك تدريب الفرد على النظافة بمفهومها الواسع . وتعد العملية الأخيرة من أصعب عمليات التهيئة لما تنطوي عليه من تنظيم عمليات إخراج البول والبراز . ويضطلع بالدور الأكبر – وربما الوحيد – في إنجاز مرحلة التهيئة هذه والإشراف عليها الأم . وقد قام عدد كبير من علماء الأنثروبولوجيا الثقافية منذ ثلاثينيات هذا القرن ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية ببحوث هامة حول هذا الموضوع ، ومن أشهرهم في هذا المجال رالف لينتون Ralph Linton وكلايد كلاكهون Clyde Kluckhohn وهنري موراي Henry Murray وديفيد شنيدر[١٤] David Schneider .

وتمثل المرحلة الثانية صلب عملية التنشئة الاجتماعية الحقيقية ، والتي تعدُّ إيذاناً بدخول الفرد عالم العلاقات الاجتماعية المنظمة . وهنا يبدو بأقصى درجة من الوضوح مدى ضخامة وتنوع تأثير الأسرة على الفرد . وتلخص علياء شكري هذه العملية بقولها :

« إن أعماق طباع الفرد وشخصيته تتكوَّن في نطاق الأسرة الضيق ، أي في مجال العلاقات بين الطفل ووالديه واخوته وأقاربه المقربين الذين يشاركون الأسرة معيشتها داخل نفس البيت »[١٥].

وهكذا تتولّى الأسرة الطفل بالترويض على أن يكون كائناً اجتماعياً ومواطناً فاضلاً ، فتعلمه لغة الجماعة وعاداتها وعرفها وتقاليدها . وتكمل الجماعات الأخرى « حلقات اللعب ، الزمالة ، المدرسة ، الجمعيات والهيئات » وظيفة الأسرة في تنشئة الأفراد .

ويختلف الأفراد في مبلغ قابليتهم للاندماج في حياة الجماعة باختلاف التربية التي يتلقونها في الأسرة والجماعات التي تحيط بهم في نشأتهم الأولى . وهذا يفسّر لنا أن بعض الأطفال ينشأون اجتماعيين Social وبعضهم الآخر غير اجتماعيين Anti-Social .

وخلاصة القول أن الطفل يولد في أسرة تعطيه مكانته في المجتمع . ومنذ لحظة ميلاده ، وقبل أن يستطيع القيام بأية أفعال من جانبه ، يوجد في مجتمع ، وينتمي لطبقة معينة ، وينتسب لجماعة عرقية مسيطرة أو تابعة ، ويصبح عضواً في أسرة يحترمها جيرتها أو تحتقرها . وتؤثر أسرته ووضعه في هذه الجماعات العرقية على الخبرات التي سوف يكتسبها عندما ينضج . وسوف تحدّد أسرته ، إلى درجة واضحة جداً ، الفرص المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية بالنسبة له . ومن ثم يتضح أن الأسرة جماعة هامة في حد ذاتها تمارس تأثيراتها المباشرة على الطفل[١٦].

وخلال مختلف أنواع التفاعل بين أعضاء الأسرة - ككون الطفل شخصاً يهتم به ، أو يتعلّم النظام ، أو يقبل كزميل أو رفيق في اللعب ... الخ ينمّي الطفل قدراته الأولى لإقامة علاقات مع الآخرين . وسوف تجد تلك القدرات فيما بعد تعبيرات وتطورات تالية في العلاقات الأسرية مع رفاق اللعب ، ومع العمال والموظفين ، ومع الشخصيات التي تملك السلطة ، ومع الأصدقاء ، وأخيراً مع ذريته وأبنائه .

والأسرة التي يولد فيها الطفل هي الجماعة المرجعية الأولى ، أي الجماعة الأولى التي يشير إلى قيمها ومعاييرها وطرق عملها عند تقييمه لسلوكه . ويتضمن ذلك أن الطفل يثبت شخصيته مع أسرته كجماعة لدرجة أن طرقها تصبح جزءاً من نفسه ، كما قرّر كل من تالكوت بارسونز Talcott Parsons وروبرت بيلز[١٧] Robert Beals . وهذه الطرق تنتج أساساً نتيجة التفاعل بين أعضاء الأسرة ، مما يؤكد أن أفراد الأسرة ليسوا هم الذين يكونون نماذج لسلوك الطفل ذاته . بل إن نمط التفاعل بين الأعضاء أنفسهم بعضهم البعض يصبح نموذجاً . ولا تتأثر التنشئة الاجتماعية للطفل بمجرّد أن له أبا جادًّا في عمله أو أباً يتعاطى المشروبات الكحولية ، أو أماً محبة أو غير عابئة ، أو أخوة أو أخوات كبار مستبدين أو متباعدين . وإنما تتأثر التنشئة الاجتماعية بصورة واضحة بما إذا

كان التفاعل في الأسرة يتميز بالهدوء والطبيعة الجيدة أو التوتر والمراهقة ، وعما إذا كانت تتسع أو تضيق المسافة بين الآباء والأطفال أو بين الذكور والإناث ، وبما إذا كانت طبيعة العلاقات والتفاعلات داخل الأسرة تتسم بالتعاون أو التنافس[١٨].

التنشئة الاجتماعية الأسرية وغرس القيم في نفس الفرد[١٩] :

يمكن تحليل هذه العملية الهامة إلى العناصر الثلاث الآتية :

(أ) طريقة إشباع العائلة لحاجات الطفل البيولوجية .

(ب) أثر المعاملة في الحياة الوجدانية للطفل .

(جـ) غرس القيم عن طريق الجزاءات (المثوبات والعقوبات) .

(أ) أثر التنشئة الاجتماعية العائلية وطريقة إشباع حاجات الطفل :

يقول أوجبرن و نيكوف Ogburn & Nimkoff إن للحياة العائلية أثرها في تشكيل الشخصية الأساسية ، وذلك لأن مرحلة الطفولة الأولى ، يتحدَّد فيها الطابع العام لنوع الاتجاهات الوجدانية ، هل تجعل الشخص سعيداً أو شقياً ، متكيفاً أو سيِّىء التكيف ؟ وتتكون هذه الاتجاهات في السنوات الأولى التي تسمَّى بالفترة التكوينية Formative period . وقد تمت دراسة طرق التربية في شعوب مختلفة الثقافات ، وجرت أسس المقارنة وفقاً للعناصر التالية :

حظ الطفل من الرعاية أو الإهمال ، وما إذا كانت معاملة الأسرة للطفل تتسم بالرقة أو الشدة في الأمور التي لها صلة بنوع المولود (الجنس : ذكر - أنثى) Sex والإخراج Elimination والفطام وما إليها . ذلك أن طريقة معاملة المولود أو الطفل في هذه النواحي هي التي تحدِّد نوع الأنا الذي يتميز بها الطفل : أهو أنا قوي ؟ أم أنا ضعيف ؟ ومعنى هذا أن قوة الثقة بالنفس ، ودرجة الاتزان العاطفي ترتبط بمعاملة الأسرة ، وبما تبديه من حب أو من جفاف في المعاملة .

ويلاحظ أن طريقة إشباع الحاجات البيولوجية للطفل ، تعكس مقدار ونوع ما تضفيه الأسرة من رعاية . ويسهم هذا وذاك في استثارة ردود أفعال نفسية معينة في الطفل ، ينتج عنها نمط معين من الشخصية الأساسية . وعلى سبيل المثال فإن الأم التي تتلقف طفلها ، فتحتضنه ، وتلقمه حلمة ثديها ، وهي تداعبه لا ترضعه لبناً فحسب ، بل تسكب في شخصيته أمناً نفسياً ، وحباً لها ، وتعلقاً بالحياة ، وتبعد عنه شتى مظاهر القلق مثل عصبية المزاج أو حدَّة الطبع أو الخوف أو التوتر ... الخ .

(ب) أثر المعاملة في الحياة الوجدانية للطفل :

إن قيم المجتمع تدخل إدخالاً (بصيغة المجهول) Introjected في نفس الإنسان ، عن طريق التنشئة الاجتماعية من خلال السلطة الوالدية (خاصة من جانب الأم في مرحلة الطفولة المبكرة) سواءً كان ذلك بطرق مقصودة أو غير مقصودة . ولا شك في أن لحاجة الطفل إلى أمه ، ولخدماتها له ، وحنوها عليه ، وإعجابه بها وحبه لها ، دور في تقمصه لشخصيتها ، فهو يحول نفسه موضوعاً يصدر إليه أوامر والديه . ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال – أن يمسك الطفل بدميته ، فيأمرها ألا تكشف عن ساقيها ، وأن تكون مؤدبة ، وأن تأمر الصغيرة دميتها أن تنام في الموعد المحدَّد . وباختصار يمتص الطفل السلطة الوالدية ، لتتحوَّل هذه السلطة الممثلة للمجتمع إلى مانسمِّيه نحن بالضمير ، أو ما تطلق عليه مدرسة التحليل النفسي اسم الأنا الأعلى Super-ego أو الذات العليا أو الرقيب Censorship . وبحسب أنواع القيم التي يمتصها الطفل ، والأدوار التي يراها ويحاكيها يكون نوع ضمير الطفل ، ونوع شخصيته والأهم من هذا : طريقة معاملة الطفل وأخذه بالقيم والقواعد السلوكية يكون لها أثرها البالغ في نمط شخصيته ، فحتى حين تكون القيمة المطلوب غرسها واحدة بالنسبة لطفلين : مثل قيمة النظافة ، فإن الاختلاف في أسلوب تربية الطفل تنجم عنه ردود أفعال مختلفة .

● إذا كان ذلك مصحوباً بإشعار الطفل بالاشمئزاز منه والتقزز ، فإن هذا قد يولِّد حالة نفسية كالفزع من القاذورات Misophobia تجعل الشخص البالغ ، يبالغ في النظافة بأسلوب مرضي Pathological فيغسل يده مثلاً بعد مصافحة الآخرين ... الخ .

● وإذا كان تعويد الطفل على النظافة يتم بأسلوب فيه تدرج وتلطف ، شب الطفل متزناً في سلوكه وفي تقديره للنظافة كقيمة .

● وإذا كان في المعاملة تذبذب وعدم ثبات Inconsistency كان الطفل متردِّداً ، مضطرب الاهتمام بهذه القيمة ... الخ . وبطبيعة الحال فإن الأسرة ليست هي وحدها التي تغرس القيم الاجتماعية ، بل تشاركها في ذلك كل الجماعات التي يدخل الفرد في عضويتها أو يكوِّن علاقات مع أفرادها مثل : جماعة اللعب ، جماعة العمل ، والجماعة الدينية ، والمجتمع المحلي ككل . ولكن مما لا شك فيه أن دور الأسرة هام للغاية وبارز بصفة خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة ، حيث يتأثر بالجو العائلي وبالمناخ الاجتماعي النفسي الذي يضفيه عليه هذا الجو العائلي ، ولا سيما الجانب الوجداني .

ومن المعروف أن الفرد يستجيب في خبراته بكل جوانب نفسه ، يستجيب فكرياً وسلوكياً ووجدانياً . ولكن أقوى جوانب التأثر فيه ، وأدومها آثاراً في حياته هي حياته الوجدانية . ومن ثم كانت القيم مصحوبة دائماً بشحنة انفعالية قوية ، حيث ترتبط القيم - ولو في تصوراتنا - بالعواطف العائلية وبالولاء للجماعة وبالدين ... الخ ولذلك فإن الشحنة الوجدانية التي ترافق غرس هذه القيم في نفس الفرد ، تكون من شدة الحرارة ، بحيث يصعب عليه أن يضع يديه عليها ، بقصد فحصها في هدوء يتسم بالعقلانية والمنطق .

ويتأثر الفرد في تكوين قيمه وشخصيته الأساسية بنوعين من الخبرات . ويقول في هذا الصدد ايمورى بوجاردس Bogardus :

« إن الاتجاهات النفسية والقيم الاجتماعية تتكوّن نتيجة للخبرات الشخصية . والخبرة الشخصية هي مايحدث لإنسان في موقف ، مضافاً إلى ذلك مايستثيره الحادث في نفسه من استجابات ، ومن ردود أفعال . والشيء المهم في التجربة الشخصية هو المعنى الذي يسبغه الإنسان عليها ونوع رد الفعل ، أهو ودّي قائم على الحب ؟ أم سلبي عدائي ؟ وما هي التطورات التي حدثت في نفس الشخص وفكره وسلوكه نتيجة لرد الفعل الناتج عن الخبرة الشخصية »[٢٠].

وثمة نوعان من الخبرة يؤثران في القيم التي يمتصها أو يتعلمها الإنسان[٢١] :

(أ) الخبرة المباشرة Direct experience

وهي تجربة ذات طابع شخصي ، أو رد فعل على حادث يقع للشخص ذاته أو لشخص آخر على مرأى منه أو في حضوره . وتأتي الإنسان المعلومات في هذه الحالة عن طريق واحدة أو أكثر من حواسه . فإذا كانت الخبرة أو التجربة مصحوبة بانفعال شديد (كالفرح أو الحزن أو الغضب أو القهر أو الخوف) كان تأثيرها بالغاً فيما يتصل بعملية تكوين الاتجاهات النفسية والقيم الاجتماعية .

(ب) الخبرة المشتقة Derivative experience

وهي التجربة التي سمع الشخص أو قرأ عنها ، أو علم بها من آخر . ونظراً لأن مثل هذا النوع من التجارب يكون أبعد خطورة على الأقل من شعور من يمر رأساً بالتجربة ، فمن المحتمل ألا يتأثر بها الإنسان بنفس العمق والحرارة والانفعال التي يستشعرها نفس الشخص في حالة التجربة المباشرة .

وعلى أية حال ، فإن أخطر عامل في تطعيم الإنسان بالثقافة (بما فيها من قيم وقواعد سلوكية) يعتمد أول مايعتمد على التربية والتنشئة الاجتماعية سواء في نطاق الأسرة أو في غيرها ، والتي تعمل على تكييف الدوافع الفردية مع قيم المجتمع وقواعد السلوكية . وبحيث يمتص الإنسان في النهاية معايير ثقافته ، فيتصرف بعد ذلك وهو يعتقد أنه يسلك السلوك القويم إرضاءاً لضميره وخضوعاً لإرادته الذاتية ، أو بحسب تعبير اريك فروم Erick Fromm :

« إنه لكي تؤدّي أية ثقافة وظائفها بكفاءة عليها أن تحمل أفرادها أن يكتسبوا الخلق الذي يجعلهم يريدون أن يتصرفوا على النحو الذي يجب عليهم القيام به ، وعليهم أن يرغبوا أو يريدوا بطريقة ذاتية أن يتعلّموا ما هو مطلوب منهم أداؤه بطريقة موضوعية » .

ونحن نجد هذا الشرط أشد انطباقاً على البدائيين من المتمدينين أو المتحضرين . فإن الفرد البدائي ليقتل نفسه راضياً ، أو يعرِّض حياته لأشد الأخطار دفاعاً عن جماعته أو معتقداته على نحو وبإخلاص لاتجدهما في كل المتمدينين[٢٢] .

(ج) غرس القيم عن طريق الجزاءات الاجتماعية Social Sanctions

تشتمل الجزاءات الاجتماعية على كل من الإثابات والعقوبات ، أي الأحكام الموجبة Positive sanctions (الإثابات) ، والأحكام السالبة (العقوبات) Negative Sanctions . والجزاء بصفة عامة هو عبارة عن رد فعل المجتمع أو عدد من أفراده إزاء أي شكل من أشكال السلوك . وهذا الجزاء كما يرى رادكليف براون Radcliffe–Brown يكون موجباً إذا ماتم الامتثال للسلوك ، ويكون سالباً إذا ماتم الإعراض عنه[٢٣].

والجزاءات الاجتماعية التي تفرض في عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية ليست كلها ذات طابع عقابي ، بل تشتمل على العقوبات المادية والمعنوية ، كما تشتمل أيضاً على المكافآت أو الإثابات . والالتجاء إلى العقوبات المادية بغرض توقيع العقاب على منتهكي القيم هو أدنى المستويات . ولذلك يمكن الرجوع به إلى أصول سلوكية حيوانية ،[٢٤] بحيث أن هذه الطريقة هي التي تلجأ إليها الحيوانات الأدنى من الإنسان . وهكذا نجد مثلاً بين قردة البابون Baboons أن حاكم الحريم المزواج يهاجم أي ذكر آخر يحاول أن ينتزع منه إحدى إناثه .

أما الإنسان فعلى العكس ، يستخدم الجزاءات المادية بصورة أقل ، ويستخدم الجزاءات النفسية والاجتماعية بصورة أعظم كثيراً ، أي هي الغالبة السائدة . ويرجع الفارق بين الإنسان والحيوان في هذا الاختلاف ، إلى أن البشر هم الذين يتميزون بأنهم ينتجون الحضارة ويعيشون بها ولقيمها . بالإضافة إلى أن الإنسان أكثر قدرة على استخدام الرموز Symbols في مجال الاتصال الاجتماعي . وعادة فإن البشر يستخدمون الجزاءات الرمزية أولاً ، ثم لا يلجأون إلى الجزاءات الأخرى إلا إذا فشلت الأولى . وآية ذلك أن تقول الأم لابنها المشاكس محذرة : كن مهذباً وإلا ضربتك . أو إذا لم تكفّ عن سوء السلوك فسأحرمك مصروفك . وكثيراً ما تندمج أنواع الجزاءات الثلاثة (المادية أي البدنية ، والنفسية ، والاقتصادية) . والعقوبة المادية (الجسدية) مثلاً تنطوي في ذاتها على قدر غير قليل من الإذلال النفسي أو العقوبة النفسية ، كما يحدث بين الهنود الحمر (الهوبي) Hopi حين يأتي عم الطفل أو خاله ، فيحمل الصبي أو الطفل سيء السلوك ، ويطوف به في أنحاء القرية ، فيروح القرويون يرشون وجه الطفل بالماء لتقويم سلوكه[٢٥].

كما تعني الجزاءات الاجتماعية نمط الإثابة أو المكافأة ، لمن يتمشى مع القيم الاجتماعية . وتختلط في المكافأة : النواحي المعنوية ، مع النواحي الجسمية أو المادية . وفي كثير من الأحيان لا تعدُّ النواحي المادية شيئاً ذا بال إذا هي قورنت بالجوانب المعنوية . خذ على سبيل المثال إعرابك عن الرضا أو الإعجاب أو الحب بمصافحة شخص أو تقبيله أو احتضانه ... الخ . كل هذه حركات جسمية ، ولكنها حركات رمزية ، والمعنى النفسي والاجتماعي فيها هو الأكثر بروزاً وسيادة وأهمية .

هذا وقد دلت الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية أن المجتمعات البدائية تعرف وتمارس التنشئة الاجتماعية السليمة عن طريق الأساليب التربوية المعنوية ، بقصد حفز الصغار على الالتزام بالقيم العليا للجماعة . ومن ذلك مايفعله الهنود الحمر الكرو (أي الغراب) Crow حيث يولم الأب وليمة لابنه إذا قام هذا الأخير بعمل جدير برضا الجماعة وتقديرها . وفي أثناء هذا الحفل يتبارى الضيوف والمدعوون في امتداح الإبن ، وحث اخوانه على أن يحذوا حذوه[٢٦].

وثمة أسلوب معنوي آخر هو أسلوب التوبيخ والتكبيت للطفل إذا هو حاد عن جادة السلوك القويم . وفي أحيان أخرى يكون التأنيب غير موجَّه للشخص رأساً وجهاً لوجه ، بل عن طريقة (إياك أعنى واسمعي ياجارة) ، وليست هذه الطريقة مجهولة حتى عند البدائيين . فإن بعض

جماعات الهنود الحمر - إذا ارتكب فيها شخص مايشين - التقت الجماعة كلها في الليل ، وراحوا يذكرون أشياء مرذولة أو مستقبحة ، أتاها شخص معيَّن ، دون أن يحدِّدوا اسمه ولكنه هو يكون شديد الإحساس بالذنب ، فيعلم أنه هو المقصود من بين إخوانه . وفي الأغلب يكون رفاق له ، وبعض أقاربه ، ومن يعرفون خفايا أموره ، هم الذين يقومون بعملية التنديد هذه ، فيهتفون مردّدين ما ارتكب من أمور معينة ، ويشفعون ذلك بالنكات اللاذعة . ويكون لهذا التأنيب العلني تأثيره العميق في نفس الخاطىء ، لأن الشخص يتربَّى في هذا المجتمع على رأي المحيطين به ، والحساسيَّة لكلمات الذم والمدح على السواء منذ طفولته المبكرة . وهكذا الشأن دائماً بالنسبة للمجتمعات الصغيرة عموماً . أي أن الشخص يعيش في جوٍّ تسوده علاقات مباشرة تتم وجهاً لوجه Face to face relations فيكون شديد الحساسية لرأي الناس فيه ، مهتماً باحترامه لنفسه ، حريصاً على احترام الناس له . وتصبح الوسائل المعنوية قهرية ومنها « القيل والقال ، والنبز بالكلمات والألقاب الكريهة لمن يرتكبون الأفعال المستنكرة » ومن شأن هذه الطرق أن تضعف من مكانة الشخص ومن مركزه الاجتماعي ، ومن إحساسه بالانتماء للجماعة . وفي جماعة أولية Pri-mary group كجماعة الأسرة ، فإن هذه الوسائل المعنوية تكون فعالة في حمل الأفراد على التوافق مع معايير الجماعة والعمل وفقاً لقيمها الاجتماعية .

الأسرة والتنشئة الاجتماعية : تصوُّرٌ نظري عام .

سبق وأن نوهنا بالدور الوظيفي لعملية التنشئة الاجتماعية في مجال نقل الثقافة والمحافظة والإبقاء عليها ، كما أبرزنا أهمية التنشئة الاجتماعية الأسرية في مجال غرس القيم في نفس الطفل . ونتابع في هذه الفقرة الحديث بتركيز عن عملية نمو الشخصية لدى الطفل . ولاشك أن عملية نمو الشخصية هي عملية نفسية تضع الأسرة دعامتها في فترة الطفولة . ورغم أن فترة الطفولة هي المرحلة الأولى من مراحل تكوين الشخصية ، إلا أن عدداً لا يستهان به من علماء النفس والاجتماع قد عضَّدوا أهمية مرحلة الطفولة المبكرة بالذات في تكوين ونمو الشخصية الإنسانية وفق خطوط متميزة . ورغم إيماننا بأن دراسة طور الطفولة لا يمكن أن نعتبره عملية تقتصر على الأسرة وحدها ، كما أنه لايمكن إرجاع السلوك الإنساني إلى طور الطفولة الأولى فحسب ، ذلك لأن توحُّدات الشخص مع القيم وأنماط السلوك عملية مستمرة ، وتبغي دائماً تحقيق تكيف الشخص مع المجتمع . ومن ثم فإن السلوك لن يستقر في طور معيَّن من أطوار الطفولة . كما أن من طبيعة عملية التنشئة

الاجتماعيـة ذاتهـا أنهـا عمليـة تراكميـة ، ومستمرة ، ومتغيرة من مكان إلى مكان ومن زمـان إلى زمـان ... الخ . ورغم إيمـان الكاتب بكل هـذه الحقـائق إلا أن دور الأسرة يبرز دائماً على السطـح كأول جماعة أولية تتلقف الطفل بالترويض والتهذيب والتثقيف .

وعلى هذا الأساس يرى جون كلوزين John Clausen أن عالم الطفولـة يبـدأ من الأسرة . ثم يتسع هذا العالم بعد ذلك ليضم عالم الرفـاق والزملاء في المـدرسـة . ويعمل الوالـدان عـادة لصـالح الطفل ، وهمـا يستجيبـان عـادة للمطـالب التي يفرضهـا المجتمع على الطفل النـامي من أجل إيجـاد الطابع الاجتماعي المرغوب حتى طور الرشد . وقد حدَّد كلوزين المسئوليـات الاجتماعيـة التي يتعيَّن على الوالدين أن يحققانها إذا ما أرادا لابنهما الطفل أن يعيش مقبولاً من والديه ومن الآخرين على النحو التالي[٢٧]:

(١) توفير العون والتربية للطفل .
(٢) توجيه وإعلاء الحاجات الفيزيولوجية مثل الحاجة إلى الطعـام والحـاجـة إلى الإخراج ليحقق التكيف مع الوالدين ولمواجهة المعايير الثقافية .
(٣) تعليم الطفل وتدريبه على المهـارات وإتـاحـة الفرصـة لممارسـة المهـارات الحركيـة والقـدرات العقليـة والمهـارات الاجتماعيـة ، بمـا يكفـل لـه الحمـايـة وتعـزيـز الأمـان ، وتنميـة القـدرات والإمكانيات على أداء السلوك المستقل .
(٤) توجيه الطفل إلى عـالم الرفـاق توجيهـاً مبـاشراً ، وإلى المجتمع المحلّي والمجتمع الأكبر من خلال مجموعة من المواقف الاجتماعية .
(٥) نقل مجموعة من الأهداف الثقافية والقيم ودفع الطفل نحو الأهداف الوالدية والاجتماعية .
(٦) إبراز وصقل المهارات الشخصية والاهتمام بمشاعر الآخرين والاستجابة لها .
(٧) ضبط مجال سلوك الأطفال وتحديد الأخطاء وتصويبها ، وتقديم النصح والتفسيرات لهم .

وتحدِّد معايير كل مجتمع أغلب هـذه المسئوليـات والمهـام ، فـالمجتمع عـادة يحـدِّد كيف ومتى يقوم الوالدان بهذه المهام ؟ ومن منهما يؤدِّيها ؟ فمثلاً على الأم أن ترضع صغيرها وتغذِّيه ، وعلى الوالدين معاً أن يستثمرا الوقت والجهد لمراعاة أولادهما ، ويتأكدا من أنهم يتعلمون مهارات خاصـة مقبولـة ، ويتحاشون أداء أنماط معينة من السلوك الخاطىء والمرفوض في سن معينة[٢٨].

ويقسِّم تالكوت بارسونز أطوار التنشئة الاجتماعية إلى أربعة أطوار ، ويربط كل طور منها بأنساق اجتماعية معينة . ويهمنا بصفة خاصة الطور الأول من هذه الأطوار ، أي ذلك الطور الذي يتم داخل الأسرة ذاتها . أما الطور الثاني فيتم أثناء مراحل الدراسة المتعدِّدة ، بينما يبدأ الطور الثالث من الخروج من دور التعليم إلى العمل ، ويبدأ الطور الرابع بتكوين الفرد أسرة جديدة . والطور الرابع يتداخل مع الطور الثالث وقد يسبقه عند بعض الأفراد . والمهم أن كافة الأطوار تتأثر بتجارب الفرد الأسرية المبكرة .

أما بالنسبة للطور الأول من أطوار التنشئة الاجتماعية ، وهو الطور الذي يتم داخل الأسرة وحتى دخول الطفل المدرسة ، فإن بارسونز يقسِّمه إلى أربعة أزمنة على النحو التالي[٢٩]:

(الزمن الأول) : يعيش الطفل في هذا الزمن في جنة عدن ، ولا تمارس عليه أية ضغوط اجتماعية ، ويعيش في مرحلة كمون في بداية هذا الزمن . وتتحمل الأم فور ميلاد الطفل مسئولية رعايته وتنشئته ، وتمنحه الأم والأسرة كل الرعاية والحنان ، ولا تتوقع منه أية مشاركة إيجابية على الإطلاق . وتحاول الأم جاهدة أن تحافظ على التوازن بين الأدوار الأسرية وحبها لطفلها . كما يبدأ أنا الطفل في هذه الفترة في التكامل مع الأم من أجل استمرار حصوله على اللذة . ويتميز سلوك الطفل أثناء تفاعله مع الأم المتوحِّد معها حينئذ ، بأنه سلوك ازدواجي يتقبل الرعاية من الآخرين الذين يعتمد عليهم ويحبونه ، ويستطيع في الوقت نفسه أن يمنحهم الحب .

(الزمن الثاني) : تبدأ في هذا الزمن رياح التغيير ، وينتزع الطفل من جنة عدن التي كان يعيش فيها ، فقد بدأ ينضج فسيولوجياً واجتماعياً ، وبدأ أعضاء الأسرة يشعرون بأنه صار قادراً على أداء مستويات من الفعل أرقى من أدائه في الزمن الأول . كما تبدأ شخصية الطفل في النضوج ويتعلَّم بعض المهارات الجديدة ويكتسب بعض الكلمات التي تسهل له عملية الاتصال بأعضاء الأسرة . وتبدأ الأم في هذا الزمن في تحقيق مطالب الأسرة بالسيطرة على سلوك الطفل . وتتحمَّل الأم مسئولية التنشئة في هذا الزمن ، وتنوب عن الأسرة في تقويم سلوك الطفل القطري ، وإعلاء سلوكه الغريزي إلى سلوك اجتماعي . ويشعر الطفل بأن سلوك أمه اتجاهه بدأ يتغير ، ولكن حجب الأم بعض حبها عن الطفل في هذا الزمن لا يتبعه أن يتحمل مسئولياته كاملة عن أفعاله ، إذ تتوقع الأم أن يؤدِّي الطفل أشكالاً من السلوك المنحرف والمستهجن احتجاجاً على فقدانه حب الأم . وتسمح الأم للطفل في هذا الزمن بأداء أنواع من السلوك ، وتبدأ من هنا مرحلة مايسميه

بارسونز طور السماح Permissive في التنشئة الاجتماعية . وتستمر شخصية الطفل في هذا الزمن في التكامل مع الأم ، وتنمو بعض العناصر العقلية عنده .

(الزمن الثالث) : وهو مرحلة تحصيل الأهداف عند الأسرة . ويحمل دور الأم في هذا الزمن الكثير من المعاني التعبيرية والمساعدة للطفل ، ولم يعد دورها دوراً نفعياً كما كان الحال في الزمن الأول . وتبدأ قدرة الطفل على تعميم الحب إلى ماوراء الأم والمشاركة في نسق الأسرة . وهذا يعني أن الأسرة قد نجحت في تحقيق هدفها من التنشئة الاجتماعية . ويبدأ الطفل في إدراك معنى عضويته للأسرة ، ومعرفة أن الأب والأم يمثلان موضوعاً واحداً عنده ، لاتفاق مواقفهما نحوه . وتبدأ مرحلة توحد الطفل مع أفراد الأسرة وقيمها . وتشجع الأم الطفل على أداء سلوك يتسم بمزيد من الاستقلالية والإيجابية . وتتخلّى الأم في هذا الزمن عن مسئولياتها للأب ، ويتم قبول الطفل كعضو مشارك في الأسرة . ويمنع حب الأم للطفل كل مايهدّد من تفكك الشخصية أو يهدّد الأنا ، ويعطيه هذا الحب الراحة والطمأنينة ، ويساعد هذا على نمو الأنا نمواً طبيعياً . فالأنا في تلك الفترة يعيش في مرحلة من الاضطرابات ، بعد أن فقد الاستقرار القديم في الزمان الأول الذي كانت تشبع فيه اشباعاته الأولى الفطرية . إذ تلاحق الطفل الآن مجموعة من الأوامر والنواهي التي تقيد حركاته وتضبط سلوكه ، التي يعجز عن فهمها رغم إدراكه لها . ويساعد مايحصله الطفل من خبرات ومهارات في هذا الزمن على اتاحة الفرصة للطفل على اكتساب مراكز جديدة في الأسرة .

(الزمن الرابع) : يبدأ الزمن الأخير في تنشئة الطفل في محيط الأسرة بالتوحّد مع الأب كموضوع جديد . ويبدأ دور الأم في التغيير ويصبح دوراً والدياً . ويبدأ تكوين العنصر الجديد في بناء الشخصية ، أي نشوء الضمير ، وتدعيم نسق الجزاءات ، ويصبح الأب والأخوة موضوعاً هاماً عند الطفل يتبادل معهم العلاقات . وفي هذا الزمن تعترف الأسرة بالعضو الجديد اعترافاً كاملاً ، ويقبل هو هذه العضوية لتحقيق إشباعات جديدة غير التي تعوّد عليها . ويبدأ دور الأب في البروز والتأثير على الطفل . ويؤدي الأب في هذا الزمن دوراً هاماً كموضوع للإشباع العاطفي ، كما تصبح الأم أكثر إيجابية نحو الطفل ، وأقل مساعدة له . وتؤيد الأسرة الأم في تحولها عن الطفل إلى وظيفتها الجديدة كإنسان قادر على الثواب والعقاب . ويدرك الطفل عقلياً معنى دور الأب والأم في الأسرة . ويدرك أن الأب والأم يكونان « نُسَيْقاً » يختلف عن نسيق الأم والطفل في الزمن الأول والثاني . ويفهم الطفل الفروق بين أفراد الأسرة على أساس الجنس والسن . وتبدأ مرحلة توافق الطفل مع أعضاء الأسرة ، وتكامل العلاقات الأسرية .

ونلاحظ أثناء عملية التنشئة الاجتماعية في الأزمنة المتتالية ، أن الإخوة والأب والرفاق يبدون للطفل مُثُلاً ونماذج تجسِّم شخصياتها وأفعالها القيم التي يتوحَّد بها . ويصاحب أطوار عملية التنشئة الاجتماعية تغيرات بنائية لنسق أدوار الطفل وأدوار الأسرة . وفي كل طور تزداد الأدوار التي يعرفها الطفل ، كما تحدث تغيرات في الأنساق التي ينتمي إليها . ولعلَّ من أهم أهداف عملية التنشئة الاجتماعية تكوين القيم لتحقيق توقعات الأدوار . فعملية التنشئة الاجتماعية تهدف إلى إعداد الفرد لأداء الأدوار المختلفة التي سيواجهها يوماً ما . فمن أهدافها إعداد الطفل لأداء دور الإبن والأخ والزميل والأب ، وإعداده لأداء دوره المهني . أي من وظيفة التنشئة الاجتماعية تعليم الطفل أشكال السلوك المرتبطة مع أداء الدور . فالفرد ينشأ داخل الأسرة على مجموعة من الحقوق والواجبات تعرف بعلاقات الأدوار . ويعي الفرد هذه الأدوار بعد فترة طويلة من التنشئة الاجتماعية . وهذا الوعي عملية يدرك بها الطفل أن الآخرين يتوقعون منه أن يسلك سلوكاً معيناً في موقف معيَّن حتى لا ينال عقاباً . ويتعلَّم أيضاً أن هذا السلوك المتوقع هو السلوك المقبول لمجتمعه . ويرى بارسونز أن عملية التنشئة الاجتماعية لا تعد أفراداً لأداء الأدوار على الوجه الأكمل ، بل تمنحهم التوجيهات العامة والتوقعات التي تساعد على إضافة مايراه الأفراد مناسباً بتأثير التعلُّم لتحقيق التوافق الاجتماعي .

الطفل القطري : بعض الجوانب الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية .

حاولت الفقرات السابقة أن تقدِّم إطاراً نظرياً متكاملاً لدراسة عملية التنشئة الإجتماعية الأسرية وأطوارها المختلفة . ودور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية إجمالاً دور لا يمكن إنكاره ، لأنها المسئولة تماماً عن عملية التنشئة في مرحلة الطفولة ، بل أكثر من ذلك فإنها مسئولة مسئولية شرعية ، كما يرى عدد من علماء النفس والاجتماع ، عن تكوين الطابع القومي للشخصية[٣٠].

وبناءً عليه ، سنختبر في هذه الفقرة ذات الطابع التطبيقي أو الامبيريقي بعض الجوانب الأساسية في عملية التنشئة الاجتماعية العائلية للطفل القطري ، مستمدين من الفقرات السابقة التي قدَّمت إطاراً نظرياً وافياً نقطة الانطلاق والبداية على أساس علمي سليم . ولن يمكن في الصفحات القليلة المتبقية من هذا المقال أن نذكر كل شيء . لذلك وجب التركيز على بعض الجوانب الأساسية من عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية تعكسها عددٌ من الشواهد الإمبيريقية أو الواقعية ، المستمدة أساساً من دراسة انثروبولوجية مكثفة عن دورة حياة الفرد قام بها الكاتب في قطر خلال عام ١٩٨٠/١٩٨١[٣١].

وسيتم عرض هذه الشواهد والحقائق متبعين منهج التسجيل الوصفي الإثنوجرافي ، ومنهج الاستدلال والاستنتاج الثقافي .

● إنجاب الأطفال :

يحظى انجاب الأطفال في المجتمع القطري عموماً بقيمة اجتماعية عالية . لذلك يعدُّ انجاب الأطفال أهم حدث في حياة الزوجين . ولا يخفى ما لإنجاب الأطفال من أهمية في استمرار اسم الرجل وأسرته ، حيث يحمل الأطفال اسمه ، بالإضافة إلى حفظ ممتلكاته لاسيما إذا كان غنياً ، وبذلك لايحصل الغرباء على ماله وممتلكاته . وبعد وفاة الزوج لا يوجد رابط يربط الزوجة بأسرة الزوج مما يجعلها تعود لأهلها . ولعلَّ هذا هو السبب في تفضيل زواج أبناء العمومة ، وهو ما اصطلح الأنثروبولوجيون على تسميته باسم « الزواج التفضيلي » Preferential marriage .

وإذا ظلت المرأة دون إنجاب لمدة خمس سنوات تبدأ أسرة الزوج في القلق على ابنها ، ويطلبون منه الزواج بغيرها لأنها عاقر لا تنجب أطفالاً . وفي الغالب لا يطلق الرجل زوجته بسبب عدم الانجاب ، بل يتزوج عليها دون أن يطلقها بعد استنفاذ الأساليب المختلفة لعلاج عقم الزوجة والذي يتجه في معظمه إلى الوصفات الشعبية أو السحرية في المناطق القبلية . بل إن هذه الوصفات الشعبية أو السحرية موجودة ومعروفة أيضاً في المدينة (مدينة الدوحة) ولكن كمحاولة أخيرة بعد فشل الإجراءات الطبية في علاج العقم عند المرأة . ومن أهم الوصفات الشعبية تناول الخروع « والعشرج » وهي شربة سهلة للجهاز الهضمي ، وكذلك الذهاب للمشايخ وقراءة القرآن وعمل الأحجبة ، أو الاغتسال بماء غسل الميت ، أو نذر النذور .

ولا توجد وسيلة أكيدة لمعرفة سبب العقم سوى أن يقوم الرجل بالزواج من امرأة أخرى « حتى يشوف العوار منه ولا منها » أي حتى يعرف هل العيب من زوجته أو منه شخصياً أي الزوج . وإذا تمَّ التأكد من أن الزوج هو السبب في عدم الإنجاب ، فإنه يصبح في نظر الناس خاوي الظهر « مافيه رجا لعيال » نظراً لمرضه . أما إذا كانت المرأة لاتنجب ، وانتظر الزوج مدة طويلة ولم يتزوج نظراً لحبه لها مثلاً ، فإن الناس يعتقدون أن الزوج « مافيه عيال ، ولو فيه عيال لتزوج » . ومن الصعوبة بمكان حتى الآن أن يذهب الزوج بنفسه للطبيب أو للمستشفى لمعرفة هل هو سبب العقم أم لا ؟ فالرجل مازال يستكثر كثيراً أن يقوم بمثل هذا العمل حتى الآن إلا إذا استدعاه الطبيب مع زوجته .

ويحذر الناس حذراً شديداً من أن تقوم المرأة العاقر بزيارة امرأة أخرى قد وضعت حديثاً ، ثم تذهب في نفس الوقت لتهنئة عروس ، لأن نتيجة مثل هذا التصرف أن « تنكبس » العروس ولا تحمل . وعموماً فإن المرأة في معظم الأحوال هي سبب العقم .

ويتعلق بالحمل عموماً ظاهرة الوحم التي تحدث في الشهور الأولى من الحمل وخصوصاً ابتداء من الشهر الثاني . ويطلق على الوحم مصطلح (نساه) ويقولون عن المرأة الحبلى التي تتوحَّم « فيها نساه » . ويعتقد الأهالي أن من تميل لأكل الأطعمة (الحامضة) ستنجب ذكراً ، أما من تميل إلى أكل الأطعمة المالحة ستنجب بنتاً . كما قد تتوحَّم المرأة وتميل إلى أكل أشياء غريبة مثل أكل الفحم الأسود أو الطين الأحمر . وتأكل المرأة مثل هذا الأشياء الغريبة التي تميل إليها عن طريق الوحم خوفاً من ظهوره على جسم وليدها إذا لم تأكله . كما أن بعض النساء يملن في أثناء الوحم إلى كراهية معاشرة أزواجهن لهن[٣٢].

● ميلاد الطفل وأهمية الوليد الذكر :

هناك تمييز واضح بين الذكور والإناث في المجتمع القطري بصفة عامة ، حيث يفضل دائماً إنجاب الأولاد الذكور . وهي سمة واضحة في كافة المجتمعات القبلية بصفة خاصة . وعلى العموم فإن الطفل الذكر في المجتمعات العربية أكثر تفضيلاً من الطفل الأنثى[٣٣]. وقد عرضت الدراسات الفلكلورية القليلة المنشورة عن المجتمعات العربية لهذه الملاحظة بكل جلاء ودون أي لبس[٣٤]. ويعرف المعتقد الشعبي في المجتمع العربي عموماً كثيراً من التفاصيل التي تجب مراعاتها والممارسات التي يجب اتباعها لإنجاب طفل ذكر[٣٥]. وأهم خبر يترقبه أفراد الأسرة بمجرَّد أن تضع الوالدة طفلها هو معرفة جنس المولود من حيث كونه ذكراً أو أنثى ، رغم إيمان القطريين عموماً بأن الذرية هي من عند الله ، وكل شيء بأمره .

إلا أن طبيعة الحياة البدوية هي التي جعلت السلطة للرجل ، كما أن طبيعة حياة البحر جعلت الأهمية للذكور . وبالتالي فإن الناحية الاقتصادية هي التي حدَّدت مركز الذكور . وقد جرت العادة على أن المولود الأول يولد في بيت أهل والدته ، وعلى المرأة أن تذهب إلى بيت أهلها قبل الولادة بمدة ، أو عندما تشعر بالطلق أي المخاض . وأثناء هذه الفترة يكون أهل الزوج قد جهزوا كل مستلزمات الولادة من غذاء أو قماش . وتبقى المرأة الولود في بيت أهلها فترة النفاس

وهي أربعين يوماً ، ولها أن تبقى أكثر من هذا إذا اقتضت الظروف ذلك حتى تستريح جسمانياً ونفسياً .

وأثناء المخاض أي بداية الولادة تستدعي القابلة (الولاّدة المختصة) إلى بيت أهل المرأة التي ستضع ، وذلك لكي تشرف على عملية الولادة بحكم خبرتها الطويلة في هذا المجال . وفي هذه الأثناء يدق عمود في الغرفة التي ستلد فيها المرأة ، ولا يقل ارتفاع هذا العمود عن مترين تقريباً ، وذلك لكي تمسك به المرأة التي ستلد ، وفي نفس الوقت تقوم امرأتان بمساعدة الولاّدة ، وتمسكان بالمرأة من كتفيها لمساعدتها أثناء عملية الوضع . وتقوم القابلة بعملية الوضع ، وتقطع الحبل السرّي للمولود ، ويفرح الجميع بالمولود وخاصّة إذا كان ذكراً لأنه سيحمل اسم والده ، ويكون (عزوة) لأسرته وقبيلته وعوناً لهم في المستقبل . وعندما يكون المولود ذكراً يذهب (المبشِّر) وغالباً القابلة لأنها أول شخص تعرف جنس المولود إلى والد الطفل لتخبره بأنه قد رزق مولوداً ذكراً ، فيقوم والد الطفل بتقديم هدية تسمّى (البشارة) إلى أول شخص أخبره بهذا النبأ السعيد . ويختلف حجم الهدية وقيمتها حسب استطاعة الوالد .

وتقتصر البشارة على الوليد الذكر دون الأنثى ، فعندما يرزق الأب ببنت تكون الفرحة أقل بكثير مما لو رزق ذكراً . ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن البنت أقل شأناً من الولد الذكر وذلك نظراً للدور المتدنّي الذي تحتله سواءً من الناحية الاقتصادية والاجتماعية . وتساعد عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية على تأصيل هذا الدور المتدنِّي للفتاة . ودائماً تنادي المرأة باسم أكبر أولادها الذكور سنًّا . وإذا كان أول أولاد المرأة ذكراً تقام له عرضة أو رزيف ، وهو احتفال غنائي يقام بهذه المناسبة وتطلق فيه الأعيرة النارية . ويستخدم تعبير « صبيّ » بتشديد الياء للدلالة على الذكر ، و « بنيَّة » بتشديد الياء للدلالة على الأنثى . ويؤثر نوع المولود على مركز الأم ، حيث أنه يفضل إنجاب الذكور كما سبق وأن نوهنا ، فنرى أنه إذا رزق الرجل بصبي وعندما يبشَّر بذلك يقال له « بشارة بالطارش » أي أن الولد سيقوم بجميع ما يوكل إليه الأب من أعمال أو شئون . فالطارش تعني المبعوث .

وتجدر الإشارة إلى أنه في السنوات الأخيرة تم كثير من عمليات الوضع في المستشفيات وخصوصاً مستشفى النساء بمدينة الدوحة ، حيث تنقل إليه الحوامل اللاتي على وشك الوضع ، وإن كان بعض الأهالي مازال يفضل أن يتم الوضع بالمنزل .

ومن العادات الإسلامية المرعية عندهم الآذان في أذن المولود من قبل والده حينما يراه للوهلة الأولى بعد الولادة ، فيقف بجانبه واضعاً فمه على أذنه اليمنى ليؤذن بها آذاناً كاملاً ، ومن ثم يقيم الصلاة في الأذن اليسرى حتى يشب الطفل مسلماً حنفياً ، ويكون قد سمع أول ماسمع اسم الله ، وذلك ليقوي الوازع الديني في الطفل وينشأ متمسكاً بأهداب الدين والصوم والصلاة . وهكذا تحرص عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية على أن يشب الطفل متديناً . وتعكس الكلمات المتداولة في مجال الحياة اليومية هذه السمة « سمة التدين » كإحدى أبعاد الشخصية القطرية[٣٦]. فاسم الله (سبحانه وتعالى) يتردَّد دائماً في مجال التعامل اليومي ، مثل حياك الله ، الله يسلمك ، الله يبارك فيك ، الله يطوِّل في عمرك ، والله ماقصَّرت ، الله يزيد إيمانك ، حسبي الله عليك ، في أمان الله ، الله يرحم والديك ، الله هداك ، والله ماتستاهل ... الخ .

كما يفضل من الأسماء أسماء الله الحسنى ، والرسول ﷺ . ثم يأتي في نفس الدرجة الأعزاء من الأقرباء المتوفين وخاصة الجد الأول . وأكثر الأسماء شيوعاً في المنطقة هي : محمد ، عبد الله ، عبد الرحمن ، خليفة ، حمد ، خالد ، سعد ، إبراهيم ، يوسف ، ناصر .

أما بالنسبة للإناث فأكثر الأسماء شيوعاً : مريم ، لولوه ، فاطمة ، عائشة ، نوره ، حصة ، شيخة ، لطيفة ، موزة . كما أنه يطلق على الأسماء المختلفة كلمات خاصة بالمنطقة فنجد أن خليفة يكنى بأبو دعيج ، وعبد الرحمن يكنى بو راشد ، ومحمد ابو جاسم ، ويوسف ابو يعقوب ، وعبد العزيز بو سعيد .

وتستطيع الواضعة الجديدة أن تغادر مخدعها في أي وقت تشاء ، إلا أنها لا تخرج من البيت إلا بعد « الأربعين » أي تجلس في البيت مُدَّة أربعين يوماً هي « فترة النفاس » . وبعد أسبوع من الولادة تذبح الذبائح وتوزع على الجيران والأقارب والأهل وتسمَّى « التمية » ويقدَّر عددها على حسب نوع المولود . وتزداد كلما كان المولود ذكراً . وهكذا تبرز نظرة الأسرة من خلال عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية فوارق الجنس منذ خروج الطفل بعد الولادة إلى الحياة بصورة واضحة وقاطعة . وهذا يرجع إلى مايتمتع به الذكر من مكانة عالية عموماً كما سبق وأن أوضحنا ، بل إن مكانة الأم تزداد كلما أنجبت ذكوراً . بالإضافة إلى بعض القيم البدوية التقليدية المتوارثة الخاصة بمفهوم الشرف والمحافظة على البنت إجمالاً . وهكذا ينمو الشعور لدى الطفل الذكر بأنه أعلى من الطفل الأنثى نتيجة لانتائة لجنس معيَّن ، ويتولَّد عند الطفل الذكر الاعتزاز

بذكورته منذ الصغر ، ويتولّد عند الأنثى الشعور بالنقص منذ إدراكها المبكر لنوع جنسها ، مما يجعلها تتمنى أن تتغير الأوضاع والأدوار ويحل كل منهما محلّ الآخر ، ولكن هيهات ! فالمجتمع القطري مثل غيره من المجتمعات العربية والإسلامية بصفة عامة مجتمع أبوي يعطي للرجل دائماً مكانة أعلى من المرأة .

وعلى الرغم من انتشار التعليم واعتباره مطلباً عاماً في الوقت الحاضر على الأقل ، فلا تزال هناك نسبة كبيرة من الأهالي ترى أن الوضع الطبيعي للمرأة هو الزواج وحياة البيت . وعلى الرغم من مكانة المرأة القطرية الثانوية في المجتمع ، من حيث مساهمتها في قوة العمل حتى الآن ، إلا أنها ولاشك تقوم بالدور الرئيسي في مجال الأسرة والتطبيع الاجتماعي للطفل نظراً لارتباطها بالبيت وارتباط الأطفال بها بالضرورة على الأقل حتى سن معينة (أي الزمن الأول والثاني على الأقل على النحو الذي حدَّده بارسونز)[٣٧].

هذه العناصر السابقة مجتمعة ، يمكن اعتبارها مسئولة مسئولية مباشرة عن كثير من الملامح الإيجابية والسلبية في شخصية الإنسان القطري ، فضلاً عن أنها تحدِّد الكثير من مظاهر سلوكه . وهو موضوع سنعرض له بالتفصيل في بحث مستقل . ولكن يمكن الإشارة إجمالاً إلى بعض الجوانب الإيجابية والسلبية الناجمة عنها . فمن النواحي الإيجابية الناجمة عنها الإعلاء من قيم الرجولة في تنشئة الأطفال الذكور وبخاصة في المناطق الصحراوية أو القبلية ، والعمل على غرس هذه القيم فيهم ، حيث ينشأ الطفل الذكر منذ الصغر على تحمل المشاق والمسئوليات والاضطلاع بكثير من الالتزامات والواجبات إزاء بقية أعضاء العائلة خاصة من يصغرونه سناً من ناحية وإزاء الجنس الآخر (النساء) من الناحية الأخرى . وكذلك شعور الفتاة بالانتماء إلى عائلة أبيها وعدم الانسلاخ عنها تماماً حتى بعد الزواج ، وأن أعضاء تلك العائلة خليقون بأن يمدوا إليها يد العون والمساعدة بل والحماية طيلة حياتها . وهذا يعطي المرأة إحساساً عميقاً بالأمن والاطمئنان لا نجده عند المرأة الغربية التي لا تشعر بالانتماء إلى عائلة أبيها ، والتي لا تقيم لروابط القرابة الأبوية كل هذه الأهمية . هذا إلى تنشئة الفتاة منذ طفولتها المبكرة على أنها ستكون زوجة وأماً وربة بيت ، واعتبار الأم العامل الأساسي في استمرار الحياة العائلية .

أما النواحي السلبية التي تنجم عن تلك العناصر فمنها المغالاة في الإعلاء من مكانة الرجل الاجتماعية ، والتسلط والاستبداد برأيه في كثير من الأحيان خصوصاً في الجماعات القبلية المحلية ،

حيث تكاد كلمة الرجل تكون هي القانون بالنسبة للمرأة داخل العائلة وبالنسبة لمن يصغرونه في السن ، وعدم مشاركة النساء في تحمل نصيبهن من الالتزامات والواجبات ، والتفرقة الواضحة في المعاملة بين الذكور والإناث منذ الولادة ، وإحساس الفتاة بالضياع إذا تقدمت بها السن دون أن تتزوج . وهذا معناه أن الزواج يعتبر مطلباً أساسياً تعطيه الفتاة أولوية مطلقة على أيٍّ مطلب آخر بما فيه العمل . ويترتب على ذلك أن تعطي المرأة المتزوجة العاملة أولوية لحياتها الأسرية على حساب العمل ودرجة اتقانه والدقة فيه والالتزام بمتطلباته . أضف إلى ذلك تصور الرجل نفسه مسئولاً عن حياة المرأة وأمنها والمحافظة على أخلاقياتها وشرفها باعتبارها (عورة) ، وعجز المرأة في كثير من الأحيان عن التوفيق بين دوريها كزوجة وأم وربة بيت من ناحية ، وعضو في المجتمع القومي بكل مايتطلبه ذلك من واجبات ومسئوليات من ناحية أخرى .

● **الرضاعة والفطام والتدريب على النظافة الشخصية :**

تعدُّ الرضاعة بالنسبة للطفل تعويضاً له عن الراحة التي كان ينعم بها أثناء وجوده في بيئة الرحم الهادئة . والرضاعة ولو أنها وسيلة لإشباع حاجات فسيولوجية ، فهي تفاعل اجتماعي بين الرضيع وأمه . وهي تعدُّ لذلك أساس تكوين الروابط العاطفية بين الطفل وأمه من ناحية ، كما أنها وسيلة لاكتساب الطفل القيم والعادات والمعتقدات والمعايير السائدة في المجتمع والتي تمثلتها الأم .

وبصفة عامة تحرص الأم القطرية على إرضاع طفلها من ثديها مباشرة ، أي عن طريق الرضاعة الطبيعية . وقد أثبتت الأبحاث والدراسات العديدة أن لبن الأم هو أفضل طعام للطفل الرضيع ، من حيث التعقيم ودرجة الحرارة المناسبة ونسبة الأملاح ، بالإضافة إلى احتوائه على كثير من الأجسام المضادَّة للأمراض المختلفة . ولذلك فهو سهل الهضم على معدة الطفل . ولكن في حالة الرضاعة الطبيعية يتعذر على الأم – في بعض الأحيان – الاستمرار في إرضاع الطفل الوجبات الكاملة ، ويكون السبب إما عدم كفاية اللبن لدى الأم أو لخروج الأم إلى العمل وغيابها لفترات طويلة بعيدة عن الصغير (وهذا تطوُّر حديث نتيجة لخروج المرأة القطرية للعمل في السنوات الأخيرة) مما يصعب معه الاستمرار في الرضاعة الكاملة لمدة طويلة .

وقد كان غذاء الطفل دائماً في الماضي هو الحليب (اللبن) من ثدي أمه . وإذا مانضب ثدي الأم لأي سبب من الأسباب ، لجأت إلى النسوة من قريباتها أو نساء الجيران ممن يستطعن مساعدتها ، وذلك لإرضاع طفلها من ثديهن ، لأنه لم يكن في الماضي يوجد أو يتوفر طرق

الرضاعة الصناعية عن طريق الحليب المجفف أو السائل ، وإنما كان غذاء الطفل الأساسي هو حليب الأم أو إرضاعه من ثدي امرأة أخرى . أما الآن فقد انتشرت الرضاعة الصناعية ولاسيما في مدينة الدوحة حيث تخرج المرأة للعمل ، وقد تضطر الأم إلى فطام الطفل قبل الأوان ، أو اعطائه أطعمة أخرى مساعدة قد تكون صعبة الهضم على معدته الرقيقة ، مما يؤدي إلى متاعب صحية ونفسية للطفل .

ومع استمرار نمو الطفل يضاف إلى غذائه الرئيسي وهو لبن الأم غذاء أكثر صلابة يسمى « النطوع » وهو مكون من السكر والزبدة واللوز ، وذلك بعد طحنه جيداً لكي يصبح ناعماً كالبودرة . كما تعطى للطفل الأدوية السائلة التي تتكون من مجموعة من بذور الأعشاب مثل الجلجلات والقرنفل والقرفة وغيرها من حبوب الأعشاب . وتغلى هذه الحبوب سالفة الذكر في الماء لفترة معينة ، ثم يبرَّد الماء وتصفَّى بواسطة قماش رقيق ونظيف ، وبعد ذلك تعطى للطفل خاصة بعد أن يضاف إليها السكر . وفي الماضي كانت تعطي هذه السوائل للطفل بواسطة وعاء صغير من النحاس ، وذلك لصب السوائل في فم الطفل بواسطته . أما الآن فالسائد استخدام زجاجة الحليب « الرضاعة » .

ويتدرج شيئاً فشيئاً طعام الطفل ، حيث يصبح أكثر صلابة كلما اقترب موعد الفطام ، فيعطى « الأرز المهروس » ، إلى أن يفطم عندما يبلغ عمره من سنة ونصف إلى سنتين . وعملية الفطام أهم مايطرأ على حياة الطفل ، حيث يعاني بسببها من بعض الاضطرابات الانفعالية ، نتيجة منعه من الرضاعة وهي امتصاص سائل غير محتاج إلى جهد من حيث تناوله ، إلى جهد يجب أن يبذله في الطعام مثل المضغ والبلع . وقد لا تقوّى أسنان الطفل بعد على طحن الأطعمة الجافة حيث يأخذ في البكاء . وهذه التغيرات التي تحدث وتتأثر بها عملية الإحساس في المعدة والأمعاء ، بالإضافة إلى التغير في طريقة الغذاء نفسها حيث كانت تتم في السابق قبل الفطام في حضن الأم الدافىء بالحنان ، والمشاعر والحب ، ولكنها تتم الآن بعيداً عن حضن الأم ، مما يؤدي إلى مزيد من الاضطرابات الانفعالية . وهذه الاضطرابات تزداد حدَّة إذا تمت عملية الفطام بصورة مفاجئة لا تدرُّج فيها ، كما تفضل الأمهات العاملات في الوقت الحاضر .

وهناك طريقتان للفطام الأولى وهي الحادَّة ، يمنع الطفل فيها من الرضاعة الطبيعية مرة واحدة ، وهذه الطريقة تسبِّب ألماً نفسياً للأم والطفل . والطريقة الثانية هي التدريجية حيث يتم

استبدال الرضاعة الطبيعية بالأغذية الخارجية المناسبة تدريجياً . وتتم عملية الفطام عن طريق وضع الأم قليلاً من البهار الحار على حلمة ثديها ، أو تضع على حلمة الثدي قليلاً من « الصبر » المر الناعم المعجون . ولذلك فعندما يتناول الطفل الثدي لامتصاص اللبن ، يجد أن طعمه متغير : مُرًّا أو حامياً من شدة البهار مما يؤدّي إلى بكائه وإصابته بالقلق على مصدر غذائه الطبيعي . وعموماً لا يتم فطام الطفل قبل نهاية السنة الأولى من عمره . ويبدأ تدريب الطفل بعد فطامه على عمليات التحكم في تبوله وتبرزه ، وعندما يصل الطفل عادة إلى السنة الثانية يكون قد تعلَّم التحكم في قضاء حاجاته في أوقات النهار ، أما في أثناء فترة الليل ، فإن مثل هذا التحكُّم لا يتم إلى اعتباراً من العام الثالث من عمر الطفل أو بعد ذلك بقليل . ويتم التدريب على هذا التحكم بواسطة الأم بصورة فيها قدر كبير من اللين وعدم العنف . وقد ثبت أن التدريبات القاسية على النظافة في مرحلة الطفولة تساعد بما لايدع مجالاً للشك على نمو الاتجاهات العدائية وغيرها من أعراض الأمراض العصابية[٣٩].

● **الختـــــان :**

تجري عملية الختان الآن للذكور فقط . وقد علم الباحث من بعض الإخباريين المحليين أن عادة ختان البنات كانت تجري في السر في الماضي ، حينما يكون الرجال في الصيد . وكانت تقوم بهذه العملية امرأة متخصِّصة . ولا يجوز للرجال في داخل أو خارج دائرة العائلة أن يتكلموا عن ذلك ، لأن هذه مسألة من اختصاص النساء فقط . أما في الوقت الحاضر ، فقد ذكر كل الإخباريين الذين قابلهم الكاتب أنه تمَّ الإقلاع تماماً عن هذه العادة بالنسبة للإناث . ومعنى هذا أن الختان في المجتمع القطري يقتصر على الذكور دون الإناث . ويرجع السبب في ختان الذكور دون الإناث كما يرى بعض الباحثين[٤٠] إلى « روح محافظة متشدِّدة ترى الأنثى عورة في كل حياتها من صغرها إلى كبرها ، فصورتها عورة ، وجسمها عورة ، والنظر إليها يسبب المشكلات والصعوبات فيما بينهم ، فكيف بفتاة تعرض أمام إنسان كائناً من كان للختان ، على الرغم من أن هذه العادة جازت وتأصلت في بعض المجتمعات الخليجية ، وبقيت حتى وقت قريب في بعض المناطق كعُمان وغيرها » .

وكان يقوم بعملية ختان الذكور في الماضي أناس متخصصون يمارسون إلى جانب ذلك حلاقة الشعر . ويجري ختان الطفل حالياً وهو صغير ، بعد أن كان يتم تختينه من قبل وقت البلوغ .

وعند الختان يوضع الطفل في مكان مرتفع ، ثم يقوم المختنّ بمعالجة رأس العضو أي بنزع الجلد عن الحشفة ، ثم يدخل خشبة ملساء ويقطع جلد الغلفة بالموس .

وأثناء الختان يقال للولد الذكر أنظر فوق ، أي إلى الطير أو الحمام حتى ينشغل أثناء عملية قطع الغلفة ، ويصرخ الأطفال عادة من شدة الألم . وحتى يقوى عزم الطفل ولا يبكي يُطلب منه بأن يعزو أباه أو أخاه أثناء القطع فيقول : « أنا خو فلان ، أو ابنك يافلان » وذلك حتى يتشجع على رؤية الدم الذي ينزف أثناء عملية الختان . وإعزاز الولد بأبيه مثل أعلى للرجولة والشجاعة ، ودليل انتسابه لأهل كرام . وتكاد شعائر الختان تقترب من شعائر الزواج بحكم النظرة العصيبة والقبلية ، حيث تقام الزينات وحلقات الرزيف (والرزيف هي رقصة الحرب والتي تصاحبها الأغاني الحماسية . وشعر الرزيف وكان ينشد في المعارك من أجل الافتخار بالقبيلة ويساير حركة الخيل وصخب الجماعة) .

وتوضع بعض الأدوية المرطبة على العضو بعد الختان مباشرة مثل الزيت ومسحوق محلّي وقطنة ، ويبقى كل ذلك لمدة سبعة أيام . ويستعان في الوقت الحاضر بصبغة اليود . وبعد اليوم السابع يؤخذ الولد إلى البحر عادة لانتزاع القطنة من على ذكره بواسطة ريشة من جناح أو ذيل دجاجة أو حمامة ، لأن الريشة أكثر مرونة من يد الإنسان ، علاوة على أن يد الإنسان قد تكون ملوثة . ويتم تختين الطفل عادة في بداية الصيف ، وهي أنسب فترة للختان حيث يعتقد الأهالي أن الجرح يجف أسرع في موسم الصيف .

وبعد الختان بأيام قلائل تذبح الذبائح ، ويدعى الأقارب والجيران لتناول العشاء وتسمّى وليمة الختان ، وهي مكونة من الأرز واللحم . وتقتصر على الرجال دون النساء . أما بالنسبة للمختون ، فيقيَّد طعامه وشرابه ، حيث يقتصر طعامه على أكلات معينة ، كما يعطى الماء بمقادير قليلة وفي أوقات منتظمة مع كل وجبة . وبعد أن يلتئم الجرح يتناول كل وجبات الطعام والشراب بصورة طبيعيَّة . ويلاحظ أنه في أول يوم في الختان يمنع الطفل من الحركة تماماً ، وينام على ظهره ، ثم يبدأ في التحرك قليلاً في الأيام التالية حفاظاً على سلامته .

ويعتقد الأهالي أن الختان مفيد للذكر بصفة خاصة ، حيث أنه عبارة عن عملية نظافة ويقي العضو من الفضلات . فالأوساخ قد تتسرَّب من الفتحة الأمامية بين الغلفة والحشفة ، وينتج عن ذلك بعض الأمراض والروائح الكريهة ، كما أن إزالة الغلفة في اعتقادهم يسهل عملية الإثارة الجنسية

مما يسعد الرجل . أما بالنسبة لختان الأنثى ، فكما سبق القول لا تمارس على الإطلاق الآن حيث يعتقدون أنها ضارة صحياً ونفسياً ، كما أنها تصيب الفتاة بالبرود الجنسي الذي يؤثر عليها مستقبلاً عند الزواج[٤١].

وهناك أغاني للختان ، وهي تصف الطفل الصبي بأنه عريس ، وتذكر اسم الله عليه كثيراً . ومن أمثلة أغاني الختان :

بذكر الله أول ما نبتدي به
على المختار سيدنا حبيبه
من ذا اختانه عبطوه من ذا (عبطوه أي ضموه بين الذراعين)
وأخنان (فلان) عبطوه
حشيمته لأمه وأبوه (حشيمته أي كرامته لأهله)
على (فلان) اظلال العرش ينثر (اظلال العرش أي حماية الله)
لعله في حياته ما يرى الشر
لعله في منامه يضعونه (يضعونه أي يبقونه)
أسعيد وتقصر العيفات دونه (أسعيد أي سعيد ، والعيفات أي الرزايا)

كما تطلب أغاني الختان من الله أن يسلم المختون من كل شر ويبارك لهم فيه .

تبادينا بذكر الله
نبينا يا رسول الله
عبد الله صغير ونرجيه
يارب سلمه وبارك فيه

ويلاحظ في أغاني الختان عموماً ذكر اسم الله واسم نبيه حتى يحفظ الله المختون من كل سوء ويجنبه كل شر ومكروه . وذكر الله في أغاني الختان يجنب المختون الشر ويبارك الله فيه . كما أن الأهالي تيمناً بميلاد الرسول عليه السلام ، حيث ولد يوم الإثنين ، ولذلك فهو يوم مبارك تجري فيه المناسبات السعيدة ، ومنها الختان .

بعض العادات الاجتماعية المصاحبة لنمو الطفل :

يتعلَّم الطفل من واقع مجتمعه المحلِّي ، ومن خلال العادات والتقاليد التي يغرسها في ذهنه الأهل أثناء المراحل المختلفة لعملية التنشئة الاجتماعية في نطاق الأسرة[٤٢]. فهو يتعلَّم مثلاً ما ينبغي توقعه من الآخرين أي من الناس المحيطين به ، كما سبق أن أوضحنا عند عرضنا للإطار النظري الشامل لموضوع التنشئة . وفي مقدمة من يتعلَّم الطفل منهم الوالدين والرفاق والأصدقاء . ويتعلَّم التفاعل الاجتماعي مع جماعة الرفاق وتكوين الصداقات معهم والاتصال والتوافق مع الآخرين . وكذلك يتعلم الطفل التمييز بين الخطأ والصواب والخير والشر . وينمو لديه هذا التمييز بشكل واضح عاماً بعد عام . ويتعلم عن طريق والديه معايير الأخلاق والقيم[٤٣]. كما يتعلم التوحُّد مع أفراد نفس الجنس ، ومعرفة الدور الجنسي في الحياة . كذلك يتعلم تكوين اتجاهات سليمة نحو الجماعات والمؤسسات التي ينتمي إليها في مجتمعه المحلِّي الصغير . ويتعلم ممارسة الاستقلال لشخصي وتكوين مفاهيم عن الواقع الاجتماعي ، وتنمية ذاته واكتساب اتجاه سليم نحو الذات والإحساس بالثقة في الذات وفي الآخرين .

وهناك بعض التعبيرات الحانية التي يطلقها الأهل على الطفل عندما يهدهد ، حيث يقولون (عشت وعشعشت ... في بيت البابا بنشت » . أما إذا تجشأ الطفل فيقال له « عافية » .

ويعطى الأطفال « قرقاشة » وهي عبارة عن الشخشيخة في الثقافة المصرية . ولا يوجد تمييز واضح من أي نوع بين الأطفال حتى سن التاسعة تقريباً . كذلك يعطى الطفل « اللهاية » أي البزازة وذلك حتى يسكت ولا يبكي .

ويطلق تعبير « التسنين » عندما تظهر للطفل أسنان وضروس ، وعندما (يسنن) الطفل تنثر على رأسه الحلويات والقريضات (المكسَّرات) والنقود . وعندما يبدأ الطفل خلع أسنانه اللينة يقوم برميها في الصباح ويقول للشمس : « خذي ضرس الحمار واعطيني ضرس الغزال » فجميع الأسنان تسمَّى أضراساً .

ويسمى الطفل الكبير « البكر » والطفل الذي يليه « الثنى » والباقون حسب ترتيبهم الثالث والرابع والخامس ... الخ . وكأي أسرة يوجد بها طفل واحد ، فإنه يكون هناك وضع خاص للطفل الوحيد في الأسرة من حيث زيادة العناية به وتدليله .

ومن الشائع إجراء احتفال بسيط لحلاقة شعر البطن ، ولا يتأثر ذلك بترتيب الطفل . ويوزن شعر الوليد الذكر ، ومقدار وزن هذا الشعر يكون نقوداً توزع على الأطفال . كما يحلق شعر الفتيات بالموس حتى يقوى ويزداد طولاً .

ومن العادات الشعبية المتبعة والواجبة الأداء الدعاء الذي يقال في مناسبة ختم القرآن على يد المطوِّع وتلامذته الصغار من أولاد وبنات لم يتجاوزوا العاشرة من عمرهم . فلقد جرت العادة أن يرسل الآباء أبناءهم الصغار ليتعلموا قراءة القرآن وفهمه عند المطوع (شيخ الكتاب) حيث يجلس المطوع ومن حوله الصبية يقرئهم القرآن بالطريقة التي تعلمها هو وبالأسلوب الذي اتخذه لنفسه حاملاً عصاً طويلة بيده يحركها باتجاه هذا الطفل أو ذاك ، تماماً كما هو متبَّع لوقت خلا في معظم البلدان العربية . ويتقاضى المطوع أجراً معلوماً من العيش (الأرز) والتمر والسمك وما إلى ذلك من الأشياء العينية أو بعض النقود المعدنية أو الورقية إن وجدت[٤٤].

وعند ختم القرآن يلبس الصبي لباساً جديداً واضعاً خنجره في وسطه ومتقلِّداً سيفه ، يذهب هذا الصبي مع زملائه ، وهم يحيطون به من كل ناحية - وكأنها زفة عريس - إلى البيوت يدعون بأدعية معينة ، وأصحاب البيوت يعطونهم نقوداً إلى أن يمتلىء كيسهم ، فيأخذونه إلى المطوع مكافأة له على ماقام به من تحفيظ للصبي . وقد يحدث أن يكون صوت الصبي الخاتم للقرآن ضعيفاً ، فيعهد إلى صبي آخر من زملائه بالدعاء ، وإذا امتنع هذا السبب أو لآخر ، يبادر المطوِّع بقول الأدعية والجميع يردِّدون من ورائه كله آمين ، حيث يقسَّم الدعاء إلى أقسام صغيرة أو فقرات أو شطرات يقف الصبي عند نهايتها ليؤمن الجميع (أي يقولوا آمين) . وهكذا إلى أن ينتهي الدعاء . عندئذ يقفل الجميع راجعين إلى بيوتهم بعد إعطاء النقود للمطوع .

أغاني الأطفال :

تعدُّ أغاني الأطفال مادة غنية وخصبة يمكن أن يستقي منها كثيراً من العادات المصاحبة لعملية التنشئة الاجتماعية الأسرية للطفل . كما أن تلك الأغاني تحتل مكاناً متميزاً داخل تراث الأغاني الشعبية . فهي أقدم أنواع الأغاني الشعبية على الإطلاق وأوسعها انتشاراً . كما نجدها تتشابه فيما بينها إلى حدٍّ بعيد من حيث النغم ومن حيث المضمون بين الثقافات على امتداد العالم . وهي من أغنى المصادر التي تحفظ لنا بقايا معتقدات وممارسات ومناسبات درست ولم يعدلها وجود في عالمنا المعاصر .

ويمكن تقسيم أغاني الأطفال من حيث المضون إلى أربع مجموعات أو فئات كبيرة هي[٤٥]:

(أ) المجموعة الأولى هي تلك الأغاني التي تتردَّد في أثناء التعامل بين الطفل والكبار المحيطين به ، خاصة أولي الأمر . وتنتمي إلى تلك المجموعة أغاني المهد ، وأغاني ملاعبة وهدهدة الطفل والأغاني ذات المضون التربوي بصفة عامة .

(ب) المجموعة الثانية هي تلك التي تتردَّد من خلال تعامل الطفل مع البيئة ، وخاصة البيئة المحيطة . فالطفل يغني لكثير من الظواهر والتغيرات الطبيعية التي تلفت نظره أو تخيفه أو تعجبه أو تفاجئه ... الخ . فهو يفرح للمطر ، ويمضي تحت وابله منتشياً فيتمنى أن يشتد ليزدهر الزرع ويفيض الإنتاج فيمتلىء بطنه . كما يغني الطفل للقمر وللشمس وهو يرمي إليها بضرسه ، ويغني للرعد والبرق ... الخ . كما يغني للحيوانات والطيور المعروفة في بيئتها .

(ج) المجموعة الثالثة هي تلك الأغاني التي تنشأ نتيجة العلاقة الوثيقة بين الإيقاع واللعب ، فتنشأ أغاني اللعب ، وأغاني الرقص ، والأغاني التنافسية ... الخ .

(د) أما المجموعة الأخيرة فتنشأ نتيجة التفاعل بين الطفل والمجتمع المحيط به في مناسبات العادات الشعبية المختلفة في مراحل دورة الحياة Life Cycle (كأغاني السبوع ، والختان ، والزواج ... الخ) ، والمناسبات التي ترتبط بمرور العام وتتابعة (كأغاني الأعياد الدورية ورمضان ... الخ) .

ولا يتّسع المجال هنا لإيراد نماذج من أغاني الأطفال التي تقال في هذه المناسبات المختلفة ، ويمكن لمن يريد الاستزادة الرجوع لبحث آخر للكاتب[٤٦] ولمراجع أخرى متعدِّدة .

ألعاب الأطفال الشعبية :

تعتبر الألعاب الشعبية ضرورة أساسية من ضرورات الطفولة ، لأنها تصاحب الطفل من بداية تكوُّن القدرات الحركية عنده ، وتتطوَّر عنده تبعاً لتطور قدراته الجسمية والنفسية والاجتماعية ، فهي بذلك خاصة طبيعيَّة لديه ، لا تحتاج إلى تربية معينة لتعويده عليها أو جذبه إليها ، وربما فقط لتنظيم ممارسته لها . ويتم هذا التنظيم بشكل تلقائي عادة من خلال التفاعل مع أمه في البداية ، ثم مع رفاقه بعد ذلك[٤٧].

والألعاب الشعبية متنوعة تنوعاً كبيراً ، ومتدرجة كي تصلح لكل الأعمار والقدرات ويمكن تدبيرها بسهولة بأبسط الإمكانيات وبما هو متاح في البيئة المحلية . وهي تهدف من بين ما تهدف إليه إلى إظهار المهارة وسرعة البديهة وأحياناً القوة ، فتشدُّ الأطفال إلى ممارستها ، وتحقق لهم بذلك قدراً من الإشباع هم في حاجة طبيعيَّة إليه . ولذلك تعمل تلك الألعاب على تكوين الشخصية الناضجة ، وتتيح الفرصة للطفل لتنمية استعداداته وقدراته ، ومتابعة احتياجاته الأساسية بدنية ونفسية واجتماعية . ويذهب بعض الباحثين إلى القول بأن دلالة التراث والمجتمع بالنسبة لعالم الطفل وألعابه دلالة واضحة وقوية ، فقد حفظت لنا ألعاب الأطفال كثيراً من عناصر التراث القديم ، التي كان يمكن أن تختفي دون أثر لولا ارتباطها بألعاب الأطفال . ويؤكد فريق من الباحثين أن دراسة ألعاب الأطفال تعدُّ إسهاماً تربوياً هامًّا بعيد الأثر في تأسيس فهم انثروبولوجي شامل ومتكامل للإنسان .

وهناك ألعاب كثيرة يلعبها الأطفال في المجتمع القطري مثل التيلة ، والحق واركب ، وألعاب الدمى ، وألعاب المخازد ، والبروى ، والبلبول ، وبيوت الرمل ، وجب لو كتب التي تستخدم فيها النقود المعدنية ... الخ .[٤٨] وقد أخذت هذه الألعاب في الانقراض شيئاً فشيئاً بعد نشأة المدارس الحديثة في قطر ، وبسبب ميل الأطفال الذي بدأ يزداد نحو لعب كرة القدم وغيرها من الألعاب الحديثة في الوقت الحاضر ، ومن هنا يجب الالتفات إلى تطوير ألعاب الأطفال والترويج للمفيد منها من خلال وسائل الثقافة الرسمية أيضاً .

خاتمة : الآثار المترتبة على استخدام المربيات الأجنبيات .

لا يسع الكاتب في نهاية هذا البحث إلا أن يشير ، ولو مجرَّد إشارة سريعة ، إلى الآثار المترتبة على الاعتماد المتزايد على المربيات الأجنبيات في عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية . وهي ظاهرة تكاد تكون عامة بالنسبة للمجتمعات الخليجية بصفة عامة خصوصاً في مرحلة مابعد النفط . ولاشك أن قضية الاعتماد على المربيات الأجنبيات في الأسرة العربية الخليجية من أجل تنشئة الأطفال وتربيتهم ، قضية تحتاج إلى دراسات أمبيريقية شاملة لتحديد حجم المشكلة ، وليس من مجرَّد انطباعات أو دراسة حالات فردية . وقد فتحت الدكتورة جهينة سلطان العيسى الباب لدراسة هذه المشكلة الاجتماعية والتربوية الخطيرة ، من خلال دراستها لظاهرة العمالة الأجنبية ، وبالذات

المحاولة التي قدَّمتها لدراسة التأثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة في المجتمعات الخليجية[٤٩]. وهي محاولة طيِّبة ، وتعدُّ بحثاً غير مسبوق ، باللغة العربية ، على حدِّ علم الكاتب .

ولسنا هنا في مجال مناقشة الآثار الإيجابية والسلبية للعمالة الأجنبية على المجتمع القطري ، ولاسيما العمالة غير العربية . ولكن مايعنينا هنا هو التنبيه والتحذير من الآثار الضارة ، بل والمدمِّرة ، لاستخدام المربية الأجنبية على عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية . فالمفروض أن الذين يقومون بعملية التنشئة الاجتماعية الأسرية هما الأبوين أساساً ، ويأتيان بطبيعة الحال في المرتبة الأولى . والأبوان ينقلان للطفل ثقافة المجتمع ومعاييره وعاداته وتقاليده وقيمه . ومن الملاحظ أن المربية أثناء فترة جلوسها مع الطفل تحادثه بلغتها وتحكي له الحكايات وتسمعه أغانيها ، وعن هذا الطريق يتعلَّم الطفل لغة المربيَّة على حساب اللغة العربيَّة ، وهي لغة مجتمعه الأصلية . بل إن الخطورة تزداد حينما تبدأ المربيَّة بالتحدث باللغة العربيَّة ، إذ يتعلم الطفل اللغة العربية بأسلوب وبطريقة المربيَّة الأجنبية . ومن جانب آخر فإن محاولة بعض المربِّيات التحدث مع الطفل باللغة الإنجليزية أفقد اللغة الإنجليزية مضمونها ومحتواها ، إذ أن المربية تتكلم الإنجليزية دون التزام بقواعد اللغة من جهة ، وبلكنة خاصة من جهة ثانية ، فيلتقط الطفل الكلمات كما تتكلمها المربية[٥٠].

ناهيك عن تأثير المربية على قيم وعادات الطفل العربية ، فهي من خلال احتكاكها بالطفل تنقل إليه ثقافتها بطريقة مباشرة . فنجدها تمارس عملية التنشئة الاجتماعية كما تمارسها في مجتمعها الأصلي ، وتنقل للطفل حصيلة من القيم والعادات وأنماط السلوك المغايرة للقيم والعادات وأنماط السلوك السائدة في مجتمعه ، مما يتأثر معه بناء شخصية الطفل ، الذي تلعب تجارب الطفولة فيه دوراً لا يمكن انكاره ، إذ تندمج هذه التجارب في شخصية الطفل،وتظهر فيما بعد في اتجاهات فعله وتفكيره وشعوره ، مما يكون له أثره في تغير بناء شخصيته عن الصورة التي تتفق مع النمط الثقافي القائم ، والسمات الثقافية الشائعة بين أفراد المجتمع . ومن المعروف أن هذه السمات ما هي إلا النواة الأساسية لبناء الشخصية الاجتماعية ، أو الشخصية الغالبة بين أعضاء المجتمع التي تتكون وتنمو نتيجة التجارب الأساسية التي يمارسها الفرد حسب طريقة الحياة السائدة في المجتمع[٥١].

ولما كانت الأسرة هي النسق الاجتماعي المسئول عن تربية الأولاد وبلا منازع ، حتى طور المدرسة ، إذ تعكس تجارب الطفولة الأولى داخل الأسرة ، كما ألمعنا ، المضمون الاجتماعي للمجتمع ، وتلعب دورها في ربط الشخصية بالبناء الاجتماعي ، لتبيَّن لنا مدى خطورة الاعتماد على المربية

الأجنبية الذي من المتوقع أن يتزايد مع مرور الوقت نتيجة خروج المرأة القطرية إلى ميدان العمل . بل إن وجود ظاهرة استخدام المربيات الأجنبيات يرتبط أيضاً بالمكانة الاجتماعية Social status ، باعتبار أن المربية تقع ضمن عناصر الوجاهة الاجتماعية[٥٢]. Social prestige ولهذا الوضع خطورته ، فالطفل مثلاً في حالة كون المربية هندية نجده يتكلم بلغة المربية أو بلغة عربية ركيكة تدخلها كلمات هندية ، ويهتم بالأفلام والأغاني الهندية ، بل وتساهم المربية في غرس قيم غريبة عن ثقافة الطفل القطري . أضف إلى ذلك أنه نتيجة لمستوى المربيات التعليمي والاجتماعي المتدنّي ، فإنهن يقمن في الغالب بنقل عناصرها مشية من ثقافتهن إلى الأطفال تعتمد في المقام الأول على الخرافات والغيبيّات[٥٣].

ويؤيد عالم الاجتماع روبرت ميرتون Robert Merton المقولة القائلة بأن كل قيم الشخص كالاعتماد والاستقلال والطمأنينة والحرية والصدق ... الخ تشكّل حسب نوع مشاركة الطفل وتفاعله مع أعضاء الأسرة وبخاصة الوالدين ، على اعتبار أن الأسرة إحدى الوسائل الفعالة في نقل التراث الثقافي للأجيال المتعاقبة ، وأداة لتنظيم سلوك الطفل حول الأهداف الثقافية والإجتماعية ، ولتكوين الوازع الخلقي عنده[٥٤]. ولمّا كانت الشخصية نسقاً نفسيًّا متميزاً لا وجود حقيقي له بدون الثقافة والبناء الاجتماعي[٥٥] ، بتعبير تالكوت بارسونز ، يتبين أيضاً مدى خطورة استخدام المربية الأجنبية لا على عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية وحدها ، بل أيضاً على تكوين وبناء الشخصية القومية ككل .

قائمة المراجع والملاحظات

(١) للوقوف على تفصيلات وافية حول هذه النقطة أنظر :

- فاروق محمد العادلي : الأنثروبولوجيا التربوية ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨١ .
- محمد سعيد فرح : الطفولة والثقافة والمجتمع ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ .
- محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعي والشخصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ .

Levon Melikian : Jassim, A Study in the Psychological Development of a Young Man in Qatar, Longman, London, 1981.

(٢) جابر عبد الحميد وآخر ، دراسات نفسية في الشخصية العربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ١٩ .

(٣) أنظر : Talcott Parsons, Social Structure & Personality, 2nd. ed., The Free Press, Londn, 1965, p. 16.

(٤) أنظر : Ibid., pp. 16–18.

(٥) محمد سعيد فرح : البناء الاجتماعي والشخصية ، مرجع سابق ، ولا سيما التحليل الذي أورده في الفصل الثالث عن علاقة التنشئة الاجتماعية بكل من البناء الاجتماعي والشخصية .

(٦) أنظر : H. P. Fairchild, Dictionary & Sociology, The Philosophical Cibrary, New York, 1944, p. 266.

(٧) الجزاء الاجتماعي Social Sanction هو ردّ فعل المجتمع أو عدد من أفراده إزاء أي شكل من أشكال السلوك ، وهذا الجزاء يكون موجباً إذا ما تمّ الامتثال للسلوك ، ويكون سالباً إذا ما تمّ الإعراض عنه . وتنقسم الجزاءات الاجتماعية إلى جزاءات منتشرة وجزاءات منظمة . أما عن الأولى فهي ردود الأفعال التلقائية التي يقوم بها الأفراد حين يوافقون على نمط السلوك أو يعارضونه ، بينما تتمثل الثانية فيما يقوم به المجتمع من إجراءات تقليدية منظمة إزاء أنماط السلوك . وثمة حقيقية هامة وهي أن كل المجتمعات تتميز بأن أحكامها السالبة أي

(العقوبات) Negative sanctions تكون أكثر تحديداً وَ حَسْماً من أحكامها الموجبة Positive Sanctions أي (الإثابات) .

للوقوف على تفصيلات وافية وقيمة حول هذا الموضوع يراجع الفصل (الحادي عشر) من المرجع الآتي :

A. R. Radcliffe – Brown : Structure & Function in Primitive Siciety, Six Impression, Cohen and West Ltd., London, 1965.

(٨) انظر : Alexander Golden weiser, Anthropology, Geory G. Harrap & Co. Ltd., London, 1937, p. 68 ff.

وانظر كذلك ، محمد الزلباني : الخليفة النظرية للقيم ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

(٩) يطبق مفهوم الشخصية المنوالية على أي منهج يحدّد الشخصية المميزة لأي جماعة ثقافية عن طريق الميل المركزي لأي توزيع تكراري معين . وبما أنه لايمكن استنتاج التوزيعات الإحصائية لسمات الشخصية من المادة الثقافية المتمثلة في التقارير الإثنوجرافية ، اتجه البحث عن مادة أخرى لاستنتاج الشخصية المنوالية . وتتمثل تلك المادة في نتائج الاختبارات النفسية لعينة من الجماعة الثقافية قيد الدراسة .

(١٠) قدَّم العلامة «كاردنير» مفهوم البناء الرئيسي للشخصية . وهو مفهوم غير احصائي يركز على البناء الجوهري للشخصية ، ويفترض وجود هذا البناء عند كل أفراد الجماعة قيد البحث . وهو في تركيزه على إبراز هذا البناء الجوهري أهمل السمات الهامشية والانحرافات . ويختلف الوضع في مفهوم الشخصية المنوالية الذي يمثل التركيب الإحصائي المتناظر . ويقصد بصفة « المنوالية » أن متغيراً ما يتمتع بأعلى تكرار في توزيع ما .
للوقوف على تفضيلات أوفى ، انظر ، عاطف وصفي : الثقافة والشخصية ، دار المعارف ، ١٩٧٥ .

(١١) للوقوف على تفصيلات وافية ودقيقة حول هذا الموضوع ، أنظر الفصل السابع عشر من كتاب رالف بيلز وهاري هويجر : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة ، الترجمة العربية أنجزها الدكتور محمد الجوهري وزملاؤه ، الجزء الثاني ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

(١٢) أنظر : Bronislaw Malinowski, «Marriage», in Encyclopaedia Britannica, London, 1962, p. 930.

وكذلك أنظر ، علياء شكري : الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٧ وما بعدها .

(١٣) علياء شكري ، نفس المرجع الذي سبقت الإشارة إليه ، ص ٢٤٨ .

(١٤) فاروق محمد العادلي : الأنثروبولوجيا التربوية ، مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(١٥) علياء شكري ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(١٦) حول هذه النقطة الهامة أنظر المراجع الآتية على سبيل المثال :

– Jill korbin : Anthropological Contributions to the Study of child Abuse, International Child Welfare Review, No. 35, December 1977, pp. 23–31.

– Charles Harring Gton & John Whiting, «Socialization Process & Personality» in Francis Hsu (ed.), Psychological Anthropology, Cambridge, 1972.

(١٧) أنظر : R. J. Bell, «A Reinterpretation of the Direction and Effects in Studies of Socialization», in Danzinger (ed.), Reading in Child Socialization, Oxford Pergamon Press, London, 1970.

(١٨) فاروق العادلي : الأنثروبولوجيا التربوية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

(١٩) لمعرفة تفصيلات مفيدة عن كيفية غرس القيم في نفس الفرد ، انظر ، محمد الزلباني : الخلفية النظرية للقيم ، مرجع سابق ، وبصفة خاصة الفصول الثلاثة الأولي من الكتاب . وكذلك أنظر :

– William F. Ogburn & M. F. Nimkoff : A Handbook of Sociology, The International Library of Sociology and Social Receonstruction, Kegan & Paul Ltd., London, 1946.

(٢٠) أنظر : – E. Bogardus : Sociology, 4th. ed., The Macmillan Co., New York, 1954, p. 27.

(٢١) أنظر : Ibid., p. 27.

(٢٢) أنظر : P. B. Horton & C. L. Hunt : Sociology, 2nd. ed., Mc Graw Hill Book Co., New York, 1968, p. 128.

(٢٣) أنظر : A. R. Radclilffe – Brown, op. cit., Ch. 11.

وانظر كذلك الحاشية رقم (٧) من قائمة المراجع والملاحظات الخاصة بهذا البحث .

(٢٤) محمد الزلباني : مدخل للنظم الاجتماعية ، الجزء الأول ، الأسس البيولوجية والسيكلوجية في الإنسان وعلاقتها بإنتاج الحضارة ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

(٢٥) أنظر : Ogburn & Nimkoff, op. cit., p. 152.

(٢٦) أنظر : H. Hoijer & R. Beals : An Introduction to Anthropology, The MacMillan Company, New York, 1972, p. 289.

(٢٧) أنظر : John Clausen : Perspective on Childhood Socialization, in John Cluusen Socialization and Society, 1979, p. 137.

وكذلك انظر ، سعيد فرح : الطفولة والثقافة والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

(٢٨) محمد سعيد فرح : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢٩) اعتمدنا في عرض هذا الطور على ما أورده سعيد فرح في كتابه البناء الاجتماعي والشخصية ، ص ص ٢٥٧ – ٢٦٥ . وللوقوف على تفصيلات يرجع إلى المؤلفين الآتيين لتالكوت بارسونز :

– Talcott Parsons : Family, Socialization and International Process, The Free Press, London, 1955.
– Talcott Parsons : Social Structure and Personality, 2nd. ed., The Free Press, London, 1965.

(٣٠) أنظر على سبيل المثال :
– J. Honigmann : Culture and Personality, Harper, New York, 1954.
– C. Kluckhohn & H. Murray (eds.) Personality in Nature, Society and Culture, Alfred A. Knopf, New York, 1959.

(٣١) فاروق محمد العادلي : دراسات انثروبولوجية في المجتمع القطري ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣٣) محمد الجوهري : الطفل في التراث الشعبي ، مجلة عالم الفكر ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، الكويت ، ١٩٨٠ ، ص ٦٤٤ .

(٣٤) أنظر بيانات اثنوجرافية مفصلة أوردتها علياء شكري في دراستها لبعض المجتمعات المحلية في المملكة العربية السعودية . علياء شكري : بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن

العربي ، دراسات ميدانية لبعض المجتمعات المحلية في المملكة العربية السعودية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

(٣٥) أورد أحمد أمين في « قاموسه » أن الرجل إذا أراد أن تلد امرأته الذكور فليضع يده اليمنى على سرتها وهي نائمة ، ويمسح على السرة وهي في ابتداء حملها ويقول ثلاث مرات ، وهو يديم المسح بيديه : « اللهم إن كنت خلقت خلقاً في بطن زوجتي هذه فكونه ذكراً وأنا أسميه محمداً . رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين . فبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ، وبشروه بغلام عليم » .

أنظر ، أحمد أمين : قاموس العادات والتقاليد المصرية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٤١٥ .

(٣٦) هناك دراسة يقوم بها الكاتب في الوقت الحاضر عن « الخلفية الثقافية للشخصية ، مع محاولة لتحديد السمات الشائعة للشخصية القطرية وستنشر في العدد القادم من مجلة الإنسانيات بإذن الله .

(٣٧) راجع وجهة نظر بارسونز بالتفصيل في الفقرة التي أفردناها للحديث عن الأسرة والتنشئة الاجتماعية : تصور نظري عام .

(٣٨) عبد المنعم المليجي وآخر : النمو النفسي ، الطبعة الرابعة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٠٢ .

(٣٩) أنظر ، G. Gorer : «Themes in Japanese Culture», in D. Haring (ed.), Personal Character and Cultural Milieu, A Collection of Readings, Syracuse University Press, Syracuse, 1949, pp. 273–290.

(٤٠) محمد طالب الدويك : الأغنية الشعبية في قطر ، الجزء الثاني (أغاني الحياة) ، وزارة الإعلام ، قطر ، ١٩٧٥ .

(٤١) هذا الاعتقاد صحيح وله مايبرِّره ، وهو ما أثبتته تجارب ختان الأنثى Female circumcision في عدد من المجتمعات الإفريقية مثل السودان وغيرها ، وفي بعض الجماعات المحلية المنعزلة في بعض المجتمعات الإسلامية في السعودية وماليزيا واندونيسيا ، حيث تتم ممارسة مايطلق عليه الختان الفرعوني Pharaonic circumcision حيث يزال البظر Clitoris والشفرين الصغيرين Labia minora والشفرين الكبيرين Labia majora أو أجزاء كبيرة منها . وقد ثبت بصفة قاطعة أن ختان الفتاة على هذا النحو يسبب لها متاعب صحية عنيفة نظراً لقسوة هذه العملية والطريقة البدائية التي تتم بها ، علاوة على

ما تجره عملية الختان من متاعب نفسية واجتماعية خطيرة فيما بعد .

للوقوف على تفصيلات ثرية حول ظاهرة ختان الأنثى وآثارها ، يراجع المقال التالي :

Taha Baasher, «Female Circumcision and Women's Health», in Draper Fund Report, Improving the Status & Women, No. 9, Washington, October, 1980, pp. 19–20.

(٤٢) يراجع ماذكرناه في هذا البحث بخصوص دور التنشئة الاجتماعية الأسرية في نقل الثقافة وبقائها .

(٤٣) للوقوف على تأصيل نظري مفصل وعميق لعملية التطبيع الاجتماعي التي يمارسها الوالدين ، راجع كتاب عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي الأشهر توماس ويليامز :

Thomas R. Williams : Introduction to Socialization, St. Louis : Mosby, 1972.

وانظر كذلك على سبيل المقارنة ، فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

(٤٤) فاروق محمد العادلي : دراسات انثروبولوجية في المجتمع القطري ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

(٤٥) للوقوف على تفصيلات عديدة وهامة أنظر ، محمد الجوهري : الطفل في التراث الشعبي ، ص ٦٦٨ وما بعدها .

(٤٦) فاروق محمد العادلي : دراسات انثروبولوجية في المجتمع القطري ، وكذلك محمد طالب الدويك : الأغنية الشعبية في قطر .

(٤٧) محمد الجوهري ، الطفل في التراث الشعبي ، مرجع سابق ، ص ٤٨ ومابعدها .

(٤٨) فاروق محمد العادلي : دراسات انثروبولوجية في المجتمع القطري ، ص ١٢٣ ومابعدها .

(٤٩) جهينة سلطان العيسى : آثار العالة الأجنبية على الأسرة العربية : التأثيرات الاجتماعية للمربية الأجنبية على الأسرة في المجتمعات الخليجية – محاولة منهجية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، المعهد العربي للتخطيط ، الكويت ، ١٩٨٣ .

(٥٠) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٥١) أنظر : Ralph Linton : The Cultural Background of Personality, Appleton Century–Crofts, INC., New York, 1945, pp. 128–130.

(٥٢) جهينة سلطان العيسى ، مرجع سبقت الإشارة إليه ، ص ٨ .

(٥٤) سعيد فرح : البناء الاجتماعي والشخصية ، ص ٢٤٢ .

(٥٥) أنظر : Talcott Parsons : Social Structure and Personality, Op. Cit.